خطب الإملاك

في التراث الأدبي القديم

دراسة أدبية تحليلية

إعـــداد

عبدالرحمن بن رجاء الله الجامعي السلمي

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبدالعزيز

كلية المعلمين ـ قسم اللغة العربية

" ملخص البحث "

يهدف هذا البحث إلى دراسة ما أمكن من خطب الإملاك في التراث الأدبي القديم وتحليلها تحليلاً موضوعيا وفنياً للوقوف على أهم الخصائص الموضوعية والسمات الفنية التي اتسمت بها.

ويتكون هذا البحث بعد المقدمة من :

التمهيد : وفيه : تناولت مفهوم خطب الإملاك ، ومقاصد الزواج وغاياته ، والمرأة والحضارة ، ورسوم خطبة الإملاك وطريقة أدائها وختمت التمهيد بالحديث عن صعوبة خطب الإملاك ومشقتها.

المبحث الأول : وقد جعلته للدراسة الموضوعية ، وفيه أشرت إلى أهم الموضوعات التي تناولها خطباء الإملاك وهي: الحث على الزواج وبيان أهميته ، ودوافع الاختيار والقبول،والثناء على الزوج والوصية بالزوجة.

المبحث الثاني: وقد جعلته لدراسة بنية خطبة الإملاك دراسة فنية وفيه تناولت البناء الخارجي والذي شمل براعة المطلع وحسن التخلص، والخاتمة، كما تناولت في هذا المبحث البناء الداخلي والذي شمل الألفاظ والتراكيب ،والإيقاع ، والتصوير الفني والوحدة الموضوعية.

ثم ختمت البحث بخاتمة ضمنتها خلاصة البحث وأهم نتائجه التي توصلت إليها وكان من أبرزها:

- مكانة خطب الإملاك بين فنون النثر المختلفة.
- ارتباط هذا الفن بالارتجال والمشافهة.
- تعد خطب الإملاك من أبرز فنون النثر الفني التي تصور العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع وتكشف لنا عن ثراء مفاهيمهم

المعرفية.

- لغة خطباء الإملاك لغة أدبية راقية.

وأما عن أهم توصيات البحث فقد أشرت إلى أهمية توجيه أنظار الباحثين إلى أهمية القضايا الأدبية والنقدية التي حوتها كتب التراث القديمة وخاصة الموسوعات منها.

كما أشرت في نهاية البحث إلى أهمية دراسة فنون النثر الأدبي دراسة تفصيلية تحليلية واستخراج ما في بطون المصادر القديمة من أنواعه المختلفة فهي جديرة بالجمع والدراسة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين،والصّلاة ،والسّلام على خاتم الأنبيـاء والمرسلين سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن النثر الفني القديم يمثل مادة أدبية غنيَّةً وخصبَةً ، فأمَّا وجه غناها فيتمثل في حجم المادة النثرية ،وتعدد مجالاتها،وأجناسها وتباين أنواعهـا، فعلى سبيل المثال حفظ لنا النثر الفني فنوناً أدبية مختلفة ومتعـددة مثـل: الخطابة ، والأمثال، وسجع الكهان، والتوقيعات ، والوصـايا، والقصـص بأنواعه، والطُرَف والنَّوادر والمقامات والمناظرات، إلى غيـر ذلـك مـن الأجناس النثرية الأخرى، مما يؤكد أن حجم هذه النُصُوص المدوَّنة التـي وصلتنا بدءاً من الجاهلية إلى القرن السادس الهجري على سـبيل المثـال تفوق مثيلاتها في الحضارات واللغات الأخرى.

وأمَّا وجه خصوبة هذه المادة فيرجع إلى تعدد الأطـر والمجـالات التـي عالجتها، فقد استطاعت هذه النصوص أن تصور لنا بيئة تلك المجتمعات علـى اختلاف أزمنتها وأمكنتها، وتصور لنا طبيعة العلاقة القائمة بين الناس، وتكشف لنا ثراء مفاهيمهم المعرفية، الأمر الذي يدل على قيمة النثر الفني وأهميته فـي تصوير الحياة وتقوية الروابط الاجتماعية وبناء العلاقات بين الأفراد والجماعات.

وتعد الخطابة من أبرز الأجناس النثرية التي اضطلعت بتأدية هذه المهمة.

وقد رسخت في المجتمع العربي منذ القدم تقاليد استمدت من طبيعـة العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة ، والروابط التي تربط بين العوائل والأسر، ثم تطورت هذه العلاقات والوشائج بعد ظهور الإسلام ، وتُوجـت بما منحه الدين الإسلامي من حقوق وواجبات تنظم الحياة ، وتزيـد مـن عمقها وبعدها الاجتماعي.

وكانت "**خُطب الإملاك**" من العادات والرسوم التي عرفها المجتمع قبل

الإسلام ومظهراً من مظاهر السلوك الاجتماعي في العصر الجاهلي، وهو إجراء يسبق عقد الزواج ليتعرف كل من أهل الزوجين على الآخر ، ويكون الإقدام بعد ذلك على معرفة وبصيرة.

وكان من عادة العرب حين يَخْطِبُونَ أن يتقدم الخاطب إلى أهل المخطوبة يلتمس منهم الزواج والمصاهرة ، فيبدي رغبته في ذلك ، ويذكر من فضائله ومزاياه ما يكافئ فضائل القوم الذين يخطب منهم ، فيرد عليه أهل المخطوبة بما يناسب المقام.

ومن هنا فخُطبُ الإملاك هي: الخطب التي تلقى في مجالس عقد الإملاك من راغب الزواج أو وليِّه ، وردِّ ولي المخطوبة بما يناسب طلبهم من قبول أو رفض، وتسمى "**خطب الإملاك أو خطب النكاح** ".

وخطب الإملاك من أشد أنواع الخطب إجهاداً للذهن ، وكدًّا للخاطر ، وكان الشعراء يُعلُون من شأن الخطيب إذا كان بارعاً فيها ، ومن ذلك قول "أبي مسمار العكلي" يمدح خطيباً اسمه عامر :

لله درُ عـــامرٍ إذا نطـــقْ في "حَفل إملاكٍ" وفي تلك الحلَـقْ

وقد علق الجاحظ على هذا بقوله : « وإنما ذكر "**خطب الإملاك**" ؛ لأنهم يذكرون أنه يعرض للخطيب فيها من الحصر أكثر مما يعرض لصاحب المنبر».[1] وقد شهد لمشقة خطبة الإملاك عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ، فقد روي عنه أنه قال : « ما يتصعدُني كلامٌ كما تتصعدني خُطبةُ النكاح »[2]

فعمر – رضي الله عنه – على رغم فصاحته وقوة بيانه كان يشعر بمشقة كبيرة وصعوبة بالغة في إعداد خطبة الإملاك، وعلى رغم صعوبتها ومشقتها حفلت المصادر الأدبية بعدد لا بأس به من هذه الخطب كانت مرآةً صادقة لحياة قائليها ومظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية التي تصور

علاقة الناس فيما بينهم .

ولمَّا كانت الخطابة من جنس النثر الفني الذي « يقصد به صاحبه إلى التأثير في نفوس سامعيه ، والذي يحفل فيه من أجل ذلك بالصياغة وجمال الأسلوب » [٣] عمدت إلى القراءة المكثفة في هذا النوع من الخطب فوجدتها تشتمل على مضامين وأفكار ومعانٍ تسهم في بناء العلاقات وتعميق الروابط الاجتماعية بين الأسر والأقارب ومن يرتبطون بالمصاهرة والنسب ، إضافة إلى ما تتسم به من الوجازة في التعبير واختيار الكلمات المناسبة وملاءمتها للحالة أو الموقف ، والإقناع بالرأي والجدة في الصياغة والأسلوب وجميع ذلك من سمات النثر الفني البليغ ، وذلك مما دفعني إلى اختيار الموضوع والعزم على البحث فيه.

وقد أقمت هذه الدراسة بعد المقدمة على تمهيد ومبحثين وخاتمة، وفهرسين.وقد شمل التمهيد :

- مفهوم خطب الإملاك.
- رسوم خطبة الإملاك وطريقة أدائها.
- صعوبة خطبة الإملاك ومشقتها.

وأمَّا المبحث الأول فقد جعلته لدراسة المعاني والأفكار التي تناولتها خطب الإملاك:

وأمَّا المبحث الثاني: فقد خصصته للدراسة الفنية لبنية خطبة الإملاك وتناولت فيه:

أولاً:-البناء الخارجي وفيه:

ـ براعة المطلع .

ـ حسن التخلص .

ـ الخاتمة .

ثانياً:- البناء الداخلي وفيه:

ـ الألفاظ والتراكيب.

ـ الإيقاع .

ـ التصوير الفني.

ـ الوحدة الموضوعية.

ثم جاءت الخاتمة وقد تضمنت خلاصة للبحث وأهم نتائجه، وأمَّا الفهرسان فكان أحدهما للمصادر والمراجع والآخر للموضوعات.

وأمَّا بخصوص المنهج الذي سلكته ، فقد اجتهدت أن يقوم هذا البحث على المنهج الفني التكاملي، الذي يفيد من جميع المناهج النقدية حيث يتخذ من النصوص الخطابية مداراً للدراسة، يلتحم معها ويستكشف أبعادها وخصائصها.

وعلى رغم حرصي على الالتزام بالتسلسل التاريخي عند إيراد النصوص الخطابية وجدت نفسي مضطراً أحياناً إلى إغفال ذلك وعدم التقيد بأسبقية الخطيب أوتأخره ،وهذا يعود إلى طبيعة دراسة الظاهرة محل الاستشهاد ، ودرجة وضوح الشاهد وذلك ـ في نظري ـ أولى بالعناية والاهتمام.

كما أنني التزمت بعدم الترجمة للأعلام الواردة في البحث ، لعدم وضوح معيار الشهرة من عدمه، ورغبة في الاختصار وعدم الإطالة.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يكون لبنة صالحة في خدمة تراثنا الأدبي ،وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

عبدالرحمن رجاءالله السلمي

التمهيد

وفيه :

أولاً : مفهوم خطب الإملاك.

ثانياً: رسوم خطبة الإملاك وطريقة أدائها.

ثالثاً: صعوبة خطبة الإملاك ومشقتها.

أولاً:مفهوم خطب الإملاك

مادة " خَطَبَ " في المعاجم اللغوية تدل على معانٍ منها :

-" الأمر " و " الشأن " اللذان تقع فيهما المخاطبة سواءٌ عظم ذلك أم صغر، فيقال: خَطْبٌ وخُطُوبٌ. [٤]ومنه قوله تعالى :« قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسَامِرِيُّ »[٥].

- " المواجهة والمراجعة في الكلام " بمعنى : الخطاب ومنه، المخاطبة ، مفاعلة من الخطاب والمشاورة.[٦]

والخطبةُ " اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر؛ وجمعها خُطَبٌ،ورجل خطيبٌ: حسن الخُطْبَة، والجمع: خُطَبَاء، وخَطُبَ- بالضم – خطابةً : أي صار خطيباً.[٧] "

واشتق ذلك من « الخطب وهو الأمر الجليل؛ لأنه إنَّما يقام بالخطب في الأمور التي تجلُّ وتعظم » [٨].

والملاك والإملاك: التزويج وعقد النكاح، يقال: قد أملكنا فلاناً فلانة إذا زوجناه إياها، [٩] يقال للرجل إذا تزوج قد ملك فلانٌ يملكُ ملكاً ومُلْكاً ومِلْكا، وشهدنا إملاك فلان وملاكه ومَلاكه. [١٠]

وفي الأثر « من شهد مِلاكَ امرئ مسلم »[١١]

وخُطبة الإملاك: – بالضم– هي الخطبة التي تلقى في مجالس عقد الإملاك من راغب الزواج أو وليه أو العاقد أو من أحد أشراف القوم ،ثم رد ولي المخطوبة أو من ينوب عنه بما يناسب طلبهم من قبول أو رفض. [١٢]

وكان العرب منذ الجاهلية يخطبون المرأة إلى أبيها أو أخيها أو عمها، فإذا كان يوم العقد اجتمع القوم ونحرت لهم الذبائح وخطب خطباءٌ

من آل الزوجين وحصل إشهاد الحاضرين على قبول الزواج.

وكان من عادة العرب حين يخطبون أن يـذكروا مـن فضـائلهم ومزاياهم ما يكافئ فضائل القوم الذين يُخْطَبُ منهم، فيـرد علـيهم أهـل المخطوبة بما يناسب المقام، وقد جرى العرف منذ العصر الجاهلي علـى هذا الأمر.

ولما كانت الخطابة من جنس النثر الفني الذي يحتفل فيه بالصياغة الفنية وحسن الأداء ويعمد فيه صاحبه إلـى قـوة الإقنـاع والتـأثير فـي المستمعين عمد إليها خطباء الإملاك فكانت القـوة التـي تـدعم آراءهـم وتستميل الآخرين؛ ولهذا نجدهم يخطبون « في الصهر والزواج وابتغـوا دائماً في كلامهم أن يؤثر في نفوس سامعيهم بما حققوا له من ضروب بيان وبلاغة»[١٣].

ولمّا جاء الإسلام أقرَّ خطبة الإملاك[١٤]؛ لما فيها مـن المصـلحة، فالخطبة مبناها على التشهير والإعلان وجعل الشيء بمسمعٍ ومـرأى مـن النَّاس وهذا مما يراد التماسه في النكاح[١٥] ليميز النكاح من السفاح.

والخطبة لا تكون إلا في الأمر عظيم الشأن جليل القـدر، وجعـل النكاح أمراً عظيماً في نفوس الناس من أعظم المقاصد التي حـثَّ عليهـا الإسلام. كي يبقى النكاح آية من آيات الله الباهرة ، وسنة من سننه الكونية.

ثانياً: رسوم خطبة الإملاك وطريقة أدائها

من عادات العرب في الجاهلية – كما سبق الإشارة إلى ذلك – أنَّهم كانوا يخطبون المرأة إلى أبيها أوأخيها أوعمها، وكان الخاطب في الجاهلية إذا قصد أهل بيت ليخطب منهم يقول لهم : " أنعموا صباحاً .

ثم يقول : « نحن أكفاؤكم ونظراؤكم، فإنْ زوجتمونا فقد أصبنا رغبة وأصبتمونا ، وكنَّا لصهركم حامدين ، وإن رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين»[١٦] ، ثم يجيب ولي أمر المرأة جواباً مناسباً يضمِّنه الرضا والقبول فتكون المرأة قد خطبت لذلك الرجل، أو يضمنه الرفض فيحصل بذلك الاعتذار.

ووصف بعض أهل الأخبار طريقة أخرى من طرق خطب الإملاك عند بعض أهل الجاهلية إذ كان الرجل في الجاهلية يأتي الحيَّ خاطباً فيقوم في ناديهم فيقول: «خِطْبٌ ! أي جئت خاطباً ، فيقال له بعد الموافقة : نِكْحٌ ! أي قد أنكحناك، وهي كلمة كانت العرب تتزوج بها».[١٧]

وفي سياق آخر يقول الجاحظ مصوراً خطبة قريش للنساء في الجاهلية : «كانت خطبة قريش في الجاهلية – يعني خطبة النساء – باسمك اللَّهُمَّ ذُكِرَتْ فُلانة [١٨] وفلان بها مشغوف»[١٩] ، فيجاب بقولهم : « باسمك اللهم لك ما سألت ، ولنا ما أعطيت» [٢٠] .

ولما جاء الإسلام استمرت خطب الإملاك غير أنها ارتدت ثوباً يغاير ثوبها القديم ، فأصبح لها أصولها الخاصة بها ورسومها التي تميزها عن غيرها من الخطب.

وكان من هذه الرسوم أن يخطب الخطيب جالساً لا قائماً، على خلاف المعهود من حال الخطيب في جميع أنواع الخطب الأخرى ، حيث

اعتاد الخطيب أن يعتلي منبراً ، أو يقف على شُرُف من الأرض أو على ظهر دابة؛ ليشرف على سامعيه ، وليحصل منهم التطلع إليه.[٢١]

وقد بيَّن " الهيثم بن عدي" هذه الهيئة الخاصة بخطب الإملاك بقوله: « لم تكن الخطباء تخطب قعوداً إلا في خطبة النكاح » [٢٢]

وجلوس الخطيب أثناء خطبة الإملاك قد يسبب لبعضهم حرجاً وتبرماً؛ لأنَّ وقوفه يمنحه شعوراً بالتدفق والتميز الذي يحتم عليه أنْ يكون جريئاً في خطابته فإذا خطب جالساً قلت رغبته في تحبير القول وتجويده. [٢٣] فإذا سلم الخطيب من مشقة ذلك امتدح لحذقه واقتداره.

ولهذا امتدح " الحارث الأعور" علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله :« والله لقد رأيت علياً، وإنَّه ليخطب قاعداً كقائم ! ومحارباً كمسالم!» [٢٤]يريد بقوله : قاعداً أي في خطبة النكاح والإملاك.[٢٥]

وكان بنو أمية يفاخرون بمعاوية رضي الله عنه وأنَّه : « أخطب الناس قائماً وقاعداً ، وعلى منبرٍ وفي خطبة نكاح »[٢٦]

ومن رسوم خطب الإملاك أنَّه يستحب من الخاطب الإطالة ومن المخطوب إليه التَّقصير ، وهذا ما أشار إليه " الجاحظ" بقوله : « والسنة في خطبة النكاح أن يطيل الخاطب ويُقَصِّر المجيب »[٢٧]

وقد أكد " الأصمعي" ذلك بقوله: « كان رجالات قريش من العرب تستحب من الخاطب الإطالة ، ومن المخطوب إليه الإيجاز » [٢٨]

ومن ذلك أنَّ " محمد بن الوليد" خطب إلى [٢٩] " عمر بن عبد العزيز" فتكلم بكلام طويل[٣٠]، وفي رواية « فتكلم بكلام جاز الحفظ » [٣١]

فقال عمر يجيبه : « الحمد لله ربِّ العزة والكبرياء، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء، أمّا بعد : فقد حَسُنَ-ظَنُّ من أودعك حرمته، واختارك

ولم يختر عليك»[٣٢]

ولعل الحكمة من إطالة الخاطب هي إشعار أهل المرأة بصدق الرغبة وجدية الاختيار، بينما الإيجاز من المخطوب إليه يدل على سرعة الإجابة لأن المرأة مطلوبة لا طالبة ، وهذا ما أشار إليه " الأصمعي" بقوله:

« كانوا يستحبون من الخاطب إلى الرجل حرمته الإطالة؛ لتدل على الرغبة، ومن المخطوب إليه الإيجاز؛ ليدل على الإجابة» [٣٣]

ومن سننها أيضاً ، استهلالها بحمد الله وتمجيده، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان خلوها من ذلك منقصة لقيمتها.

فقد روى " الجاحظ" أنَّ " الفضل بن عيسى الرُّقاشي" خطب امرأة من تميم لنفسه، فلما فرغ من خطبته قام أعرابي منهم يجيبه فقال : « توسلت بحرمة وأدليت بحق، واستندت إلى خير، ودعوت إلى سنَّة ، ففرضك مقبول، وما سألت مبذول، وحاجتك مقضية إن شاء الله تعالى » [٣٤]

فقال "الفضل" بعد ذلك معلقاً على خطبة الأعرابي:« لو كان الأعرابي حمد الله في أوله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم لفضحني يومئذٍ » [٣٥]

يريد أن يقول: لكشف نقصي بتمام قوله وكماله.

ثالثاً : صعوبة خطبة الإملاك ومشقتها

تعد خطب الإملاك من أشد أنواع الخطب إجهاداً للذهن وكداً للخاطر، فهي تكلف قائلها كثيراً من الجهد والعناء، وما أكثر الذين اعتراهم الحصر والعيُّ وارتجَّ عليهم حين كانوا يتهيأون لإلقاء خطب الإملاك. [٣٦]

وكان الشعراء يعلون من شأن الخطيب إذا كان بارعاً فيها، ومن ذلك قول "أبي مسمار العكلي" يمدح خطيباً اسمه عامر :

لله درُّ عـــامرٍ إذا نطـــق في حفل إملاك وفي تلك الحلـق

ليس كقومٍ يعرفون بالسَّــرَق[٣٧] من خطب النَّاس وممَّا في الــورق
يلفِّقون القــول تلفيــق الخَلَــق من كلِّ نضَّاح الذِّفَاري بالعرق[٣٨]

إذا رمته الخطباء بالحدق [٣٩]

وقد علق " الجاحظ" على هذا بقوله: « وإنَّما ذكر خطب الإمــلاك؛ لأنهــم يذكرون أنه يعرض للخطيب فيها من الحصر أكثر مما يعرض لصــاحب المنبر»[٤٠].

وقد شهد بمشقة خطب الإملاك "عمر بن الخطاب" رضي الله عنــه ، فقــد روي عنه أنه قال: « ما يتصعدني[٤١]كلام كما تتصعدني خطبة النكاح» [٤٢]

وهذا الشعور الذي عبَّر عنه عمر رضي الله عنه بقوله « يتصعدني » ينبئ عن حالة من المعاناة التي تنتابه وتثقل عليه، والتــي تتمثــل فــي صورة حسِّية من ضيق النفس وكربة الصدر والرهق المضني وهو يبحث عن مقاطع الكلام.

فعمر رضي الله عنه على رغم فصاحته وقوة بيانــه كــان يشــعر بمشقة خطب الإملاك وما تحدثه من جهد وعناء في نفسه.

وقد حاول بعض النُّقاد تعليل قول "عمر" رضي الله عنه في المشقة التي كان يعانيها حين يتصدى لهذا الضرب من الخطابة دون غيره.

فابن " المقفع" يرى أنَّ هذه المشقة تعود إلى « قرب الوجــوه مــن الوجوه ونظر الحداق [٤٣]من قرب في أخواف الحداق؛ ولأنه إذا كان جالساً معهم كانوا كأنَّهم نظراء أكفاء فإذا علا المنبر صاروا سوقه ورعية » [٤٤]

والتمس بعض النقاد علةً أخرى لتفسير هذه المشقة حيث رأوا أنَّ خطيــب الإملاك لا يجد بداً من تزكية نفسه ، إنْ كان يخطب لنفسه – أو تزكية من يخطب له ، فلعل "عمر" رضي الله عنه كره أن يُمْدَحَ الخاطب بما ليس فيه

فيكون قد قال زوراً وغرَّ القوم من صاحبه.[٤٥]

وقد رفض "الجاحظ" هذا التعليل – بعد إيراده – قائلاً : « ولَعَمْرِي إنَّ هذا التأويل ليجوز إذا كان الخطيب موقوفاً على الخطابة ، فأما "عمر بن الخطاب" –رحمه الله– وأشباهه من الراشدين فلم يكونوا ليتكلفوا ذلك إلا فيمَنْ يستحق المدح» [٤٦]

ورفضُ "الجاحظ" لهذا الرأي يعود إلى استبعاد أن يصدر من "عمر" رضي الله عنه وأمثاله من الخلفاء الراشدين نوع من المداهنة والتكلف في تزكية من لا يستحق المدح، بينما لا غنى للخطيب في مثل هذا المقام من الإطراء المحمود للخاطب وبيان محاسنه التي تُرَغِبُ في مثله .

وقد علق "العقاد" على هذين الرأيين بقوله : « كلا القولين جائز في بيان وجه المخالفة بين طبع عمر والتَّكلم في محافل النكاح، فهو مطبوع على أن يتكلم إلى النَّاس كلام رجل يقود الرجال ، ومطبوع كذلك على الصدق الذي تثقل على صاحبه المداهنة، وهي مما لا غنى عنه في هذا المقام ولو كان الخاطب من الأكفاء»[٤٧]

والذي يظهر أنَّ استصعاب عمر رضي الله عنه لخطب الإملاك يرجع إلى أمور عدة تعود في جملتها إلى طبيعة هذا النوع من الخطب وما يتطلبه من رسوم خاصة ومعانٍ وأساليب مخصوصة لا يستطيع الخطيب التبسط فيها، كما لا يستطيع عنها محيداً ، فقرب الوجوه من الوجوه، ونظر الحداق من قرب في أجواف الحدَاق تجعل لخطبة الإملاك صُعَدَاء[٤٨]، وتورث لصاحبها اللَّجلجة والانقطاع والبُهْرَ والعرق، ولا يسلم من مشقة ذلك إلا المطبوع الحاذق الواثق بغزارته واقتداره.

وما تتطلبه خطب الإملاك من الجلوس يبعث في نفس الخطيب

شعوراً بأنَّه وجلساءه نظراء أكفاء؛ مما يقلل رغبته في تحبير القول وتجويده، ويجعل كلامه يشبه حديث المجالس وكلام الناس المعتاد الذي يخلو من الإثارة والانفعال ويحرمه من استخدام الإشارة والحركة أثناء خطبته مما يضعف نشاطه ويقلل حيويته.

وعلى العكس من ذلك فوقوف الخطيب وارتقاؤه على مرتفع يمنحه شعوراً بالتفرد والتميز ويحتم عليه أن يكون جريئاً منفعلاً.

كما أنَّ الخطيب الذي جبل على الابتكار في المعاني والتفنن في الأساليب يجد نفسه محصوراً في هذا النوع من الخطب بين الرغبة والقبول مما يشعره بضيق مجال القول وانحصاره في أساليب مخصوصة الأمر الذي زاد من صعوبتها على الخطباء.

وقد بلغ من عجز النَّاس في العصور المتأخرة عن إعداد خطب الإملاك بأنفسهم أنَّ غيرهم كان يصنعها لهم كما فعل الخطيب ابن نباتة الفارقي [٤٩] حيث صنع خطباً للنكاح يتلوها الخطباء في مجالس عقد الإملاك أو ينسجون على منوالها وطريقتها وهي خطب جاهزة ونماذج معدة تفتقد الصدق الفني وتنأى عن الواقعية؛ مما يفسر لنا مشقة هذا النوع من الخطب وصعوبتها.

المبحث الأول

المعاني والأفكار التي تناولتها خطب الإملاك

يتناول هذا المبحث المعاني والأفكار التي جاءت في ثنايا خطب الإملاك وذلك باستقراء نتاج الخطباء ، وهو أمر تفرضه طبيعة دراسة النثر الفني .

والمعنى يعد أحد العناصر الأساسية التي يتكون منها النص الخطابي فهو العنصر العقلي في الخطبة ومظهر فكر الخطيب وثقافته ووعيه بالمعارف التي يتعرض للحديث عنها أو التي يستمد أفكاره منها ولذا فإنه « لا يحق أن يسمى أدباً إلا ما كان له حظ من أفكار راقية ومعانٍ سامية ، وإنّ قيمة الأثر الأدبي تكبر بما فيه من عمق في المعاني وكثرة في الحقائق» (٥٠)

وإذا كان الشعر والنثر يشتركان في التعبير عما في النفس من فكر وشعور فإن النثر « ينزع دائماً إلى طبيعته التقريرية وأصله العقلي الناقع»(٥١)

ومن هنا تغلب عليه صفة الإفادة والإبلاغ بخلاف الشعر الذي تسود فيه صفة التأثير . (٥٢)

وخطبة الإملاك تعبير واضح عن الرغبة في الزواج ، وهي خطوة أساسية في طريق الالتزام ، ولهذا تصدر بعد رغبة صادقة وتوجيه مخلص.

والمتأمل في خطب الإملاك يجد أن المعاني التي يتحرك من خلالها الخطيب هي معانٍ محدودة والإبداع يأتي في قدرة الخطيب على الإيجاز المكثف وتعميق الفكرة في كلمات محدودة ، مشبعة بالمعاني الكثيرة.

ويأتي الحث على الزواج وبيان أهميته على رأس الموضوعات التي أكد

عليها خطباء الإملاك ، ومن ذلك أن النبي ﷺ لما خطب في زواج علي بن أبي طالب من فاطمة رضي الله عنهما قال : « إن الله جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً ، وشَّج به الأرحام وألزمه الأنام ، قال تبارك أسمه وتعالى ذكره ،« وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا »[٥٣] فأمر الله يجري إلى قضائه ، ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ، «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمُّ الكتاب »[٥٤]

فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد أن المصاهرة صلة ربانية جعلها الله بين الزوجين وما يتفرع منهما نسباً لاحقاً ، وشَّج بها الأرحام وجعلها مشتبكة متصلة كما تشتبك الأغصان والعروق في لحمة مترابطة البنيان وثيقة الصلة ، وكان ذلك أصل نظام الاجتماع البشري لنشأة القبائل والشعوب وتعارفهم .

والصهر : اسم لما بين المرء وقرابة زوجه من العلاقة وأصله من إذابة الشيء وإنما سميت المناكح صهراً لاختلاط الناس بها كما يختلط الشيء إذا صهر.[٥٥] ويسمى مصاهرة لأنه يكون من جهتين ، وهو آصرة اعتبارية تقوم بالإضافة إلى ما تضاف إليه ، فصهر الرجل قرابة امرأته وصهر المرأة قرابة زوجها، ولذلك يقال صاهر فلان فلاناً إذا تزوج من قرابته ولو قرابةً بعيدةً[٥٦].

ولمَا كان الزواج يقوم على أساس الترابط وتقوية أواصر المحبة بين العائلات وتوثيق الصلات الاجتماعية أكدَّ النبي ﷺ في خطبته أنّ الله وشَّجَ به الأرحام وألزم به الأنام ، فكان ذلك تأكيداً على دعامة هذه العلاقة التي في مهادها تنمو وتتطور الأسرة ، ومن دوحتها الباسقة تمتد سلالة الأجيال.

وخطب " الحسن البصري" رحمه الله خطبة إملاك فقال : « أما بعد ، فإنَّ الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة والأنساب المتفرقة ،وجعل ذلك في سُنَّة من دينه ، ومنهاج واضح من أمره » (٥٧)

و" الحسن البصري" ــ رحمه الله ــ **يؤكد في هذا النص أن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المتباعدة والأنساب المتفرقة ،وجعل هذه الوشيجة سبباً في بناء لحمة قوية وعلاقة متينة بين الأفراد والعشائر إذْ تطفي هذه العلاقة نار العداوة والشحناء بين المتنافرين وتمزج المتصاهرين في علاقة متينة تسودها المحبة والألفة ،ولذا كان العرب في الجاهلية يجتنبون البعداء ويتألفون الأعداء بالمصاهرة حتى يرجع المنافر مؤنساً ويعود العدو موالياً،وكان ذلك من مقاصدهم المعروفة في الزَّواج.** (٥٨)**وإلى هذا التمازج والتجاذب في العلاقات الإنسانية الذي ينتج عن المصاهرة أشار الخليفة " المأمون " في خطبة إملاك له فقال : « لو لم يكن في المناكحة آية منزلة ولا سنة متبعة إلا ما جعل الله في ذلك من تأليف البعيد وبرِّ القريب لسارع إليه الموفق وبادر إليه العاقل اللبيب »** (٥٩)

وفي خطبهم نلمس ما يُرَغِّبُ في الزواج ويحضُّ عليه ، ومن ذلك قول "خالد القسري" في خطبة إملاك : « ذكرتم أمراً حسناً جميلاً ، وعد الله فيه الغنى والسَّعة فلا خلف لموعود الله ولا رادَّ لقضاء الله ، إذا أراد جماع أمر فلا فرقة له، وإذا أراد فرقة أمر فلا جماع له »(٦٠).

وفي قوله : « وعد الله فيه الغنى والسَّعة » إشارة إلى أن النكاح سبب في جلب الرزق ، فالله وعد أن يجعل الزواج سبيلا إلى الغنى ويمدَّ الناكح الذي يريد العفاف بالقوة التي تجعله قادراً على التغلب على أسباب الفقر، على نحو ما نجد في قوله تعالى : « وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ

وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ »[٦١] وإلى هذا المعنى أشار "ابن مسعود" رضي الله عنه بقوله « التمسوا الغنى في النكاح »[٦٢]

ومن هنا نلمس أنَّ الخطيب تجافى عن الاقتباس المباشر أو الاستشهاد القرآني الصريح إلى مجرد الإلماح والإيماء وكأنَّه في معانيه قد تمثَّل القرآن حقَّ التمثل فلم يعد مجرد منطوق يقنع بالاقتطاف منه أو الإحالة إليه ، وإنَّما أصبح محور استلهام له في أفكاره ومعانيه،وفي هذه الحالة يقوم التفكير بالموروث مقام التصريح ويحل البناء بالمذخور القرآني محل التعبير به.

ومن المعاني التي تناولها خطباء الإملاك ما يرجع إلى القيم الخلقية التي يشترطونها في القوم الذين سيصاهرونهم ؛ وكان لاختيار الزوجين عندهم شروط ومزايا تتلخص في جملة من القيم .

ومن تلك القيم الخلقية التي عرفت عند العرب قديماً وارتضاها المجتمع الإسلامي ما يرجع إلى الحسب والشرف، والحسب عند العربي يتركز على مجد قومه ومفاخره وحسن الأحدوثة ومكارم الأخلاق.

وفي خطبة "أبي طالب" في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضي الله عنها نلمس فخراً بالحسب والشرف وذلك في قوله:« الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل وجعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إنَّ محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه : براً ،وفضلاً ،وكرماً ،وعقلاً ومجداً ونبلاً .. » [٦٣]

ثم وقف "ورقة بن نوفل" ابن عم خديجة بنت خويلد يثني على ما قاله أبو طالب فقال: « الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت ، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كله .. لا ينكر العرب فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم » (٦٤)

ففي هاتين الخطبتين المتبادلتين نجد فخراً بالأحساب، والفضائل، والشرف ومكارم الأخلاق ،وحسن الأحدوثة وكلها من الصفات التي حرص العرب على توافرها في اختيار من سيصاهرون أو يقبلون مصاهرتهم.

وفي معاني هذين النصين نلمس الصدق العاطفي والفني اللذين يسجلان أدقَّ مشاعر العلاقات الاجتماعية القائمة بين الناس ، ومن خلال هذا العنصر العاطفي تتحقق إثارة الوجدان ، وبعث المشاعر في السامعين مما يحول المعاني والأفكار الذهنية إلى عواطف ينفعل بها السامع وهذا المحور الوجداني هو الذي ترتكز عليه روابطنا الاجتماعية وصلاتنا النفسية.

ولما خطب " صعصعة بن معاوية" إلى "عامر بن الظَّرِب العدواني" ابنته أجابه عامرٌ لشرف مكانته وحسبه في قومه، وأكد أنَّ ذلك من أعظم أسباب قبوله فقال: «يا صعصعة ... النكاح خير من الأيْمَة، والحسيب كفء الحسيب، والزوج الصالح أبٌ بعد أبٌ ، وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك»(٦٥)

وتأتي أصالة النسب عند الزوجين من الصفات التي كانت تراعيها العرب في اختيارهم ، فالنَّسب الأصيل يحول بين المرء وفعل النقائص، وتظهر آثاره على حياة الأسرة؛ لذلك أوصى يحيى بن أكثم قومه بقوله: « لا يكفيكم جمال النساء عن صراحة النسب، فإنَّ المناكح الكريمة مدرجة الشَّرف»(٦٦).

ولا غرو إذاً فالزوجة نبعة من قومها تثمر مثل ثمرهم وتتخلق بأخلاقهم، وما يقال عن المرأة يقال عن الرجل فصاحب النسب الشريف محمود السيرة مرغوب في مصاهرته؛ لأن كرم الأصل لابد أن يظهر أثره على كرم الخلق والسلوك،وهذا ما أكده الخليفة " المأمون" في خطبة إملاك حيث قال :

« وفلان من قد عرفتموه في نسب لم تجهلوه، خطب إليكم فلانه فتاتكم، وقد بذل لها من الصداق كذا، فشفعوا شافعنا ، وأنكحوا خاطبنا» [٦٧]

ولعل من أبرز دوافع الاختيار أن يكون هناك نوع من المودة والشعور بالميل والارتياح من طرف ما تجاه طرف آخر من الجنسين أو من كليهما على السواء،وعادة ما ينشأ هذا الدافع في ظل ظروف العلاقات الطبيعية العادية بين الناس، وفي نطاق علاقات التقارب المكاني فيجد راغب الزواج ضالته في الطرف الآخر الذي يشعر بالتجانس معه لتحقيق تلك الرغبة في الزواج تدعمه هذه المشاعر والأحاسيس القلبية وهذا ما كان يعبر عنه خطباء قريش حين كانوا يقولون في خطبة النساء : « باسمك اللهم ذكرت فلانة ، وفلان بها مشغوف» [٦٨] والمشغوف هو الذي بلغ به الحب شغاف قلبه، وشغاف القلب غشاؤه الرقيق، والمعنى أنَّ حبه لفلانة بلغ منتهاه وغشي سويداء فؤاده،وهي كلمة تدل على عمق المشاعر القلبية الصادقة والرغبة المخلصة التي وراء الاختيار.

وقد أومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمه أبي طالب برغبته القلبية في الاقتران بخديجة رضي الله عنها، وذلك لما رأى فيها من شرف النفس،وطهارة السريرة ،ونضج الخلق ،والعقل وأخبر عمه أبا طالب أنها ترغب في مثل ما رغب فيه، فأكد أبو طالب على هذه المودة والشعور

بالميل من كلا الطرفين فقال في خطبته:« إن محمد بن عبد الله ابن أخي ... له في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك »[٦٩]

ولما كان ثمةَ تفاوتٌ في المستوى الاقتصادي والثراء المادي بين النبي صلى الله عليه وسلم والسيدة خديجة رضي الله عنها أشار أبو طالب إلى أنَّ قلَّة ذات اليد لا ينبغي أن تؤثر على الاعتبارات الأخرى مثل الصفات الخلقية والتقارب النفسي بينهما، فالمال – وإن كان مهما – ليس هو المعول عليه في غرس السعادة الحقيقية وبناء الاستقرار الأسري بين الزوجين؛ ولهذا اعتذر أبو طالب بقلة ذات يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « وإن كان في المال قُلٌّ فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة»[٧٠]

ولا غنى لخطيب الإملاك في مثل هذا المقام من الإطراء المحمود للخاطب وبيان محاسنه التي ترغب في تزويجه ، حتى لو كان الخاطب من الأكفاء، وقد سبق الحديث عن تعليل بعض النقاد مشقة خطب الإملاك وأنَّها قد تعود إلى تزكية الخاطب ومدحه بما ليس فيه فيكون الخطيب قد غرَّ القوم من صاحبه. [٧١] وقد بيَّن "القلقشندي" أن على ملتمس النكاح أن يضمن طلبه بما يدل على وصف المخطوب إليه بما يقتضي الرغبة ويدل الخاطب من نفسه بما يؤدي إلى الكفاية والإسعاف بالطلبة»[٧٢]

وقد يجد الخاطب مشقة كبيرة في مدح نفسه وذكر محاسن أخلاقه حين يتولى خطبة الإملاك بنفسه، فمدح الإنسان لنفسه من أشق الأمور وأعسرها على العاقل السوي. وهذا الشعور بالحرج سيطر على "ابن الفقير" حين خطب لنفسه امرأة من باهلة فقال:

وما حسن أن يمدح المرء نفسه ولكنَّ أخلاقاً تُذَمُّ وتمدحُ[٧٣]

وما دام الأمر كذلك فإنَّ المتأمل في خطب الإملاك يلمس ثناءً عاطراً

على الخاطب وبيان محاسنه، وأبرز ما نجد من ذلك خطبة أبي طالب في إملاك النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضي الله عنها حيث قال: « ثم إنَّ محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه : براً وفضلاً ، وكرماً وعقلاً ، ومجداً ونبلاً » (٧٤)

فأبو طالب يثني على ابن أخيه ويصفه بالفضائل التي تعارفت عليها العرب واقتضتها البيئة العربية ، وأول الصفات وصفه بالفتوة والشباب فالزوج الفتى أثير مرغوب؛ لأنه أدنى إلى الزوجة سناً وأشبه بها خلقاً وميلاً ، والزوجة تؤثر الفتى القوى على الشيخ الكبير؛ لأنه الأجدر أن يحقق لها سكن النفس وأنس الروح اللذين يولدان الألفة بين الزوجين؛ ولأنه الأقدر على حمايتها ، والأجدر على أن ينجب أبناءً أصحاء أقوياء. ثم وصفه بالتميز على أقرانه من قريش فهو لا يوازن به فتى إلا رجح عليه في البر والإحسان وكرم الخلق وسخاء النفس مع ذكاء العقل ونجابته وأرومة نسبه الشريف. فالبر والإحسان من الصفات المرغبة في الخاطب حيث تجعل منه زوجاً حسن العشرة حدباً على زوجه رفيقاً رقيقاً، والكرم والسخاء تجعل منه جواداً كريماً كثير التسمُّح بالبذل والعطاء، والزوجة تؤثر الجواد الكريم؛ لأن جوده يحقق آمالها في حياة ناعمة هنيئة ويكفل لها أساسيات الحياة المستقرة.

وقد يكون الثناء على الزوج من ولي المخطوبة كقول عامر بن الظَّرِب العدواني يجيب صعصعة على خطبته : « يا صعصعة .. الحسيب كفء الحسيب، والزوج الصالح أبٌ بعد أب ، وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك » (٧٥)

ففي هذا النص نلمس ثناءً على الزوج من ولي المخطوبة وإعجاباً

بصفاته التي ترغب في مثله فهو ذو نسب أصيل وحسب كريم يجعل منه زوجاً صالحاً يكون للمرأة في حياتها الزوجية الجديدة بمنزلة أبيها في حدبه ولطفه وإحسان معاملتها وحفظ كرامتها وهذا ما عبَّر عنه بقوله : «والزوج الصالح أب بعد أب».

وتأتي الوصية بالزوجة من المعاني التي عمد إليها خطباء الإملاك في خطبهم ومقصداً من المقاصد التي أكدوا عليها، وكثيراً ما كان يجري ذلك على ألسنة أولياء المخطوبة لعلمهم أنَّ الاحتفاء بموليتهم وإكرامها يهيئ لها بيئة سعيدة وحياة كريمة.

وفي خطب الإملاك نلمس وصية الخاطب بوجوب معاملة الزوجة بالحسنى والخلق الكريم، وعادة ما تصدر من قلب يفيض بمشاعر الحب والعطف على موليته التي تنتقل إلى بيت لم تألفه وقرين لم تعرفه ، وبيئة جديدة لا عهد لها بها.

وخطبة "عامر بن الظرب" تعد صورة رائعة لأحاسيس أب يزوج ابنته من رجل من خارج القبيلة فيوصيه قائلاً: « يا صعصعة، إنك جئت تشتري مني كبدي وأرحم ولدي عندي منعتك أم بعتك...وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك أفرُّ من السر إلى العلانية أنصح ابناً وأودع ضعيفاً قوياً» (٧٦)

وحين خطب "عثمان بن عنبسة" ابنة "عتبة بن أبي سفيان" أجابه عتبة بقوله:«قد زوجتك وأنت أعزُّعليَّ منها ، وهي ألصق بقلبي منك» (٧٧)

وفي هذا التعبير نلمس مشاعر الأب الحنون تجاه ابنته وقد عبَّر عن هذه المكانة بقوله : « هي ألصق بقلي منك » وهو تعبير يجسد مشاعر الرحمة والرأفة فابنته ألصق بقلبه ؛ لأنها قطعة منه وامتداد لحياته ..

ثم يوصي الخاطب بإكرامها وإحسان عشرتها وعدم الإساءة إليها،

وينبهه إلى أن إكرامها وإسعادها يجعل له مكانة كبيرة ومحبة عظيمة في نفسه فيقول :« فأكرمها يعذب على لساني ذكرك ولا تهنها فيصغر عندي قدرك وقد قربتك مع قربك فلا تبعد قلبي عن قلبك »[٧٨].

وهذا النص يشتمل على جدة في المعنى ويكشف عن معرفة بطبيعة النفس التي تميل إلى الإكرام والتقدير، فمشاعر الأب القلبية تدرك أنَّ إكرام المرأة ورعاية حقها والإحسان إليها من السبل التي تهيئ الألفة والمحبة بين الزوجين وتجعل المرأة تميل إلى قرينها الجديد الذي لم تألفه وتسكن نفسها إلى البيئة الجديدة التي لم تعرفها من قبل، فإذا حلت الألفة والمحبة بين الزوجين ربطت بينهما برباط عميق فإذا نظرة العين، ولمسة اليد ، ونطق اللسان، وخفقة القلب ترانيم من التعاطف والمحبة التي تسود حياة الزوجين.

والمتأمل في معاني خطب الإملاك يجدها واضحة بينة لا نرى فيها غموضاً ولا إبهاماً، فالخطيب في جميع معانيه وأفكاره يتدفق على سجيته غير مستكره لمعانيه ولا متكلف ما ليس في وسعه،ولعل ارتباط الفن الخطابي بالمشافهة والارتجال جعل الوضوح مطلباً ملحاً يدفع خطيب الإملاك إلى أن يقدم خطبته وقد خلت من كل ما يعوق الدلالة والوضوح.

المبحث الثاني
الدراسة الفنية (بنية خطبة الإملاك)

وفيه :

أولاً : البناء الخارجي ويشمل :

- براعة المطلع.
- حسن التخلص .
- الخاتمة.

ثانياً : البناء الداخلي ويشمل:

- الألفاظ والتراكيب.
- الإيقاع.
- التصوير الفني.
- الوحدة الموضوعية.

ثالثاً : موازنة بين خطب الإملاك في الجاهلية والإسلام .

أولاً : البناء الخارجي

ويشمل :

- براعة المطلع.
- حسن التخلص .
- الخاتمة.

يذهب كثير من النقاد إلى أنَّ الفارق المميز بين الشعر والنثر الفني هو الوزن، وأنهما يتفقان في معظم القيم الفنية والخصائص الموضوعية ، وإذا كان الأمر كذلك فمن الطبيعي أن يكون الشكل الفني لهما متشابهاً فأجزاء الشعر ومكوناته هي أجزاء النثر نفسها ففي النثر الفني كما في الشعر : (المطلع ، والتخلص ، والخاتمة) وهي الأجزاء التي تستعطف أسماع المتلقين،وتستميلهم إلى الإصغاء.(٧٩) وإلى هذا التقارب أشار أبو هلال العسكري فقال: « أجناس الكلام المنظوم ثلاثة : الرسائل والخطب ، والشعر ، وجميعها تحتاج إلى حسن التأليف، وجودة التركيب.» (٨٠)

ولا شك أنَّ الخطب أحد أهم أجناس النثر الفني التي كانت تعدُّ إعداداً فنياً يحفل بالتأنق والترتيب ، وهذا من أبرز عوامل نجاحها وحسن تأثيرها في المتلقين.

والمتأمل لخطب الإملاك يجد أنها مقسَّمة الأجزاء فهي تبدأ بمقدمة وثيقة الصلة بالموضوع ، ثم يعقبها الموضوع ثم تنتهي بخاتمة ملتحمة بغرض الخطبة ، وهي بهذه المراحل تكون قد استكملت أجزاء الخطبة كلها كما قسمها أرسطو. (٨١)وتقسيم الخطبة إلى هذه الأجزاء المرتبة ليس أمراً حتمياً ، بحيث نحكم بالنقص على الخطبة التي تفتقد جزءاً من أجزائها ، وإنما هو تقسيم فني يراد منه جعل الخطبة أكثر قدرة على التأثير والإقناع وأدنى إلى الدقة والكمال،وبعض الخطب لا يمكن أن نحدد لها أقساماً واضحة، بل إن تقسيمها يعدُ لوناً من ألوان التكلف ؛ لأنها تتألف من فقرات محددة ، وليس بمقدورنا أن نقسمها التقسيم المنطقي المراد ، ولو حاولناه لأتى جافياً متكلفاً.

وفي الحديث عن البناء الخارجي لخطبة الإملاك سأتناول هذه الأجزاء بشيء من الشرح والتفصيل

براعة المطلع :

مقدمة الخطبة هي أول ما يقرع أذن السامع؛ فينشرح لها قلبه، وتطرب لها نفسه؛ فيتشوق لما يأتي بعدها، ويكون ذلك داعية إلى الإصغاء والاستماع.

والمقدمة من الخطبة بمنزلة " المطلع " من القصيدة يتوسل بها إلى إثارة السامع وجذب انتباهه؛ ولهذا اشترطوا في من يتصدى لمقصد من مقاصد الكلام أن يكون مفتتح كلامه ملائماً لذلك المقصد دالاً عليه شعراً كان أم نثراً . (٨٢)

وبالنظر إلى مقدمات خطب الإملاك نجد أنها متعددة ، فخطبة قريش في الجاهلية كانت عادة ما تبدأ بقولهم :« باسمك اللهم » كما ذكر ذلك الجاحظ. (٨٣)وهو استفتاح بذكر اسم الله تعالى تيمناً وتبركاً بحصول المأمول والظفر بالمطلوب.

وقد تستهل بالتحميد كما في خطبة أبي طالب في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضي الله عنها : « الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بلداً حراماً .. » (٨٤) .

وكما في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في زواج فاطمة رضي الله عنها حيث بدأها بقوله : « الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المرهوب من عذابه ، المرغوب فيما عنده» (٨٥)

واستهلال الخطب بالتحميد من أحسن الابتداءات يقول "سهل بن هارون":«وجب على كل ذي مقالة أن يبتدئ بالحمد لله قبل استفتاحها كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها» (٨٦)

ويعلل العسكري لاستجادة الابتداء بالتحميد بأنَّ النفوس تتشوق إلى الثناء على الله ، ومن ثم يكون ذلك داعياً إلى الاستماع (٨٧)

وقد تأتي المقدمة بالتحميد إلى جانب ذكر الصلاة على النبي ﷺ ، وهذه المقدمة هي المقدمة الإسلامية السائدة التي ارتدتها خطب الإملاك في العصر الإسلامي ، ومن أمثلة ذلك خطبة شبيب بن شيبة [٨٨] وعمر بن عبد العزيز [٨٩] والمأمون [٩٠].

وقد يخرج الخطيب عن هذا النوع من المقدمة كأن يبدأ خطبته ببيت من الشعر كما فعل ابن الفقير حين خطب امرأة من باهلة فقال:

« وما حسن أن يمدح الإنسان نفسه ولكن أخلاقاً تذُمُ وتمدحُ وإنَّ فلانة ذكرت لي » [٩١]

والابتداء ببيت من الشعر فيه تنبيه وإيقاظ وتشويق للمستمعين؛ إذ منهم من « يعجبه حسن اللفظ ، ومنهم من يعجبه الإشارة ، ومنهم من ينقاد ببيت من الشعر» [٩٢]

وقد يبدأ الخطيب خطبته بنداء الخاطب مباشرة دون ذكر مقدمة كما في خطبة عامر بن الظرب حين قال : « يا صعصعة ؛ إنك جئت تشتري مني كبدي..» [٩٣]

ونداء الخاطب هنا في بداية الخطبة يحفز ذهن السامع ويبعث فيه الإثارة والانتباه، فمد حرف « الياء» ورفع الصوت به وإطالته يؤدي إلى زيادة في التأكيد، وقوة للتنبيه إلى ما يأتي بعده.

ولعل نداء القريب هنا بأداة النداء التي تستعمل للبعيد من باب إنزال القريب منزلة البعيد لعلو مكانته ورفعة منزلته، فيجعل بُعْدَ منزلته كأنَّه بُعْدٌ في المكان. [٩٤]

ومن خلال ما سبق يتبين أنَّ مطلع الخطبة يعد مدخلاً يتوسل به الخطيب ليمهد لأفكاره ويستثير انتباه السامعين، ويجعلهم أكثر تهيئاً وتقبلاً لموضوعه.

- حسن التخلص :

جرى الخطباء على استعمال صيغة « أما بعد » [٩٥] ؛ لتشكل لهم معبراً ينفذون منه إلى موضوعاتهم ، هذه الصيغة تأتي غالباً مرتبطة بالفاء الواقعة في جواب الشرط؛ « لأن " أمَّا" لا عمل لها إلا اقتضاء الفاء واكتسابها، فإن الفاء تصل بعض الكلام ببعض وصلاً لا انفصال بينه ، ولا مهلة فيه، ولما كانت " أمَّا " فاصلة أوتيت بالفاء لترد الكلام على أوله »[٩٦]

ومن أمثلة ذلك قول شبيب بن شيبة : « الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله ، أما بعد ، فإن المعرفة منا ومنكم، بنا وبكم تمنعنا من الإكثار » [٩٧] ،وقول عمر بن عبد العزيز : « الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد ، فإن الرغبة منك دعتك إلينا، والرغبة فيك أجابت منا »[٩٨].

وقد يكون التخلص بصيغة « ثم إنَّ » وهي صيغة يؤتى بها عندما يكون المرء في حديث فيريد أن ينتقل إلى غيره ، ومن أمثلة ذلك خطبة أبي طالب «الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم .. ثم إن محمد بن عبد الله»[٩٩]

وخطبة النبي صلى الله عليه وسلم في زواج فاطمة :« الحمد لله المحمود بنعمته .. ثم إنَّ الله تعالى جعل المصاهرة نسباً » [١٠٠] ومثل هذه الصيغ تجعل التخلص إلى غرض الخطبة سهلاً رشيقاً بحيث لا يشعر السامع بالانتقال ؛ لشدة الالتئام والانسجام بين أجزاء الخطبة.

وقد علل أحد الباحثين أهمية التخلص تعليلاً نفسياً حين ربط بين طبيعة النفس الإنسانية وإثارة نفورها إذا تباينت الموضوعات داخل النص الأدبي، وسيقت بلا رابط انتقالي يجمع بينها ويلائم بين أطرافها في ترفق وهدوء؛ وذلك أنَّ النفس إذا اعتادت الشيء وتناغمت مع حركته الشعورية وإيحاءاته التصويرية يصعب نقلها إلى شيء آخر نقلاً مفاجئاً للاختلاف

المفاجئ للجو النفسي الجديد. [١٠١] ثم بعد ذلك يدخل الخطيب إلى موضوعه الذي قصد إليه وبنى عليه خطبته.

وللموضوع في بنية خطبة الإملاك أهمية كبرى فهو صلب الخطبة والأساس منها.

وموضوع خطبة الإملاك مبني على التركيز والإيضاح ؛ لأن فهم المعنى ووضوحه أساس الإقناع والتأثير ، وكثيراً ما كان يمهد الخطيب قبل الشروع في طلبه بالحديث عن فضل النكاح والترغيب فيه وبيان أهميته ومقاصد · الإسلام منه.كما في خطبة النبيﷺ[١٠٢] وخطبة الحسن البصري[١٠٣]وخطبة المأمون[١٠٤].

ولاشك أن هذا التمهيد يدل على مغزى الخطيب،والموضوع الذي إليه قصد،وهذا من المواءمة بين أجزاء الخطبة وحسن بنائها وقد أشار الجاحظ إلى أهمية ذلك فقال: "فرِّق بين صدر خطبة النِّكاح وبين صدر خطبة العيد ، وخطبة الصلح ، وخطبة التَّواهب ، حتى يكون لكل فنٍ من ذلك صدرٌ يدل على عجزه ، فإنَّه لا خير في كلام لا يدلُّ على معناك ، ولا يشير إلى مغزاك"[١٠٥]

ولا شك أنَّ التمهيد بذكر فضل النكاح والترغيب فيه قبل الشروع في مقصد الخطيب يعدُّ شديد الصلة بموضوعه ممهداً له بطريقة سهلة ومتدرجة ، دون أن يكون هناك انقطاع أو دخول مفاجئ تنفر منه نفوس المتلقين.

ويأتي التمهيد مشتملاً على ذكر محاسن الخاطب وصفاته الخلقية أو الوصية بالزوجة والإحسان إليها وكل ذلك مشعر بالالتحام مع موضوع الخطبة ممتزجاً بها، نلمس هذا الالتئام في خطبة أبي طالب [١٠٦]. وخطبة بلال رضي الله عنه[١٠٧]وخطبة الحسن البصري [١٠٨]والخليفة المأمون [١٠٩] وغيرها كثير.

- **الخاتمة:**

تحتل الخاتمة أهمية كبيرة في بنية الخطبة ، فهي آخر ما يطرق الأسماع وأحرى أن يستقر بالنفس ويعلق بالقلب؛ ولذلك أكد النقاد على أهمية العناية بها ورأوا أن تكون ذات لفظ رشيق وأن يكون فيها من حسن الانسجام وإصابة الغرض ما يبقى أحسن الآثار ويجبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير. (١١٠)

وخواتيم خطب الإملاك جاءت متعددة الأشكال ، وإن كان يغلب عليها التشابه في المعاني والأفكار مع اختلاف في الألفاظ والأساليب.

وعادة ما يختم الخطيب بترغيب أهل المرأة بما أرادوا من الصداق كما في خطبة أبي طالب حيث ختم بقوله : « وما أحببتم من الصداق فعليَّ » (١١١) وخطبة أيُّوب بن القرية ختمها بقوله : « والأمير معطيكم ما تسألون » (١١٢)

وقد يرشد الخطيب أهل المرأة في نهاية خطبته إلى سنة الاستخارة وأن يكون ردهم خيراً، كما في ختام خطبة الحسن البصري : « فاستخيروا الله وردوا خيراً يرحمكم الله » (١١٣)

أو يختم بالاستغفار له وللحاضرين كما في ختام خطبة المأمون: « فشفعوا شافعنا ، وأنكحوا خاطبنا، وقولوا خيراً تحمدوا عليه وتؤجروا ؛ أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم» (١١٤)

ولا شك أن هذا الختام جاء ملتحماً التحاماً تاماً مؤذناً بتمام الكلام، ساعد في ذلك حسن التخلص والتدرج بقوله « أقول قولي هذا » فمن خلاله نلمس قدرة الخطيب على إيجاد المخرج المناسب للانتقال بالسامع من صلب الموضوع إلى ختامه فلم يعد السامع ينتظر شيئاً بعد ذلك ، ولم يعد في نفسه

رغبة في المزيد.

ويأتي الختام بالدعاء والاستغفار شديد الصلة بما قبله إذْ فيه إشاعة لخلق المحبة والمودة بين الطرفين ، وإظهار الرغبة الصادقة في تعميق هذه العلاقة بالدعاء المشعر بالمحبة وصدق المشاعر.

وأما ردُّ أولياء المخطوبة فعادةً ما يختم بالموافقة على طلب الخاطب كما في خطبة الأعرابي من بني تميم حين ختمها بقوله : « وحاجتك مقضية إن شاء الله تعالى » (١١٥)

وكما في إجابة عمر بن عبد العزيز « قد زوجناك على كتاب الله : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » (١١٦)وهذا الختام وإن كان نصاً في قبول الخاطب وإجابة دعوته إلا أن عمر رحمه الله قلل من إصابة الغرض بذكر التسريح الذي لا يجمل ولا يحسن في مثل هذا الموقف ؛ لعدم ملاءمته للموقف الراهن الذي يعدُ جزءاً مرتبطاً بالنص الخطابي .

والمتأمل في خواتيم خطب الإملاك يلمس أنها جاءت والنفس قد تهيأت واستعدت لها وقد حملت بين طياتها إشعاراً بتمام الكلام وانتهاء الخطبة ، ولا شك أن ذلك هو غاية جمال الخاتمة وعلامة جودتها وحسن رونقها.

ثانياً: البناء الداخلي

ويشمل :

- أولاً: الألفاظ والتراكيب.
- ثانياً: الإيقاع الصوتي.
- ثالثاً: التصوير الفني.
- رابعاً: الوحدة الموضوعية.

أولاً: الألفاظ والتراكيب

افتخر العرب قديماً بالخطابة، ومدحوا بالبراعة فيها ، حتى كانت الخطابة والشعر متساويين في القدر ،وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة مفتخراً:

ومقـــامٍ ضيـــق فرجتُـــــهُ بمقـامي ولســـــاني وجـــــدل(١١٧)

ويصف قيس بن عاصم قومه فيقول:

خطباء حين يقوم قائلهم بيض الوجوه مصاقع لُسُنُ (١١٨)

ولمَّا توفي ابن عمّار الطائي رثاه أبو قردودة الطائي فلم يجد أبلغ من وصف منطقه الجميل حيث شبهه بالثوب المنمَّر الموشَّى؛لحسن منطقه المنمق الأخاذ فقال:

يا جفنة كإزاء الحوض قد هَدَمُوا ومَنْطِقاً مثـل وشي اليُمْنَةِ الحِبَرة(١١٩)

وهذا الاحتفاء والوصف بالبراعة يدل على أنَّهم كانوا يعمدون إلى تحبير كلامهم وتزيينه كما كان يفعل الشعراء، وقد أحسن الجاحظ حين وصفهم بقوله: « كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب (١٢٠) اقتداراً عليه ، وثقة بحسن عادة الله عندهم فيه، وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التَّدبير ومهمَّات الأمور ميّثوه(١٢١) في صدورهم وقيَّدوه على أنفسهم، فإذا قوَّمه الثقاف... أبرزوه محككاً منقَّحاً، ومصفًّى من الأدناس مهذَّباً »(١٢٢) .

وسأتناول هذا الاحتفاء والتحبير في إطارين هما : الألفاظ والتراكيب.

أ ــ إطار الألفاظ

تتميز ألفاظ خطباء الإملاك على وجه العموم بالسهولة والوضوح مع تحقق القدر الكافي من الفصاحة والبلاغة للتأثير على المتلقين ، ولعل اشتراك الجميع في هذه السمة يعود إلى غايتهم المشتركة التي تهدف – قبل كل شيء – إلى إقناع من يخطبون إليهم واستمالتهم والإبانة عمَّا في نفوسهم وبيان موقفهم بكل دقة ووضوح.

ولا شك أنَّ السهولة والوضوح مع إحكام النسج وحسن الصياغة يحققان بكل اقتدار مثل هذه الغاية.

وأمارة ذلك أن يكون الخطيب : « في جميع ألفاظه ومعانيه جارياً على سجيته غير مستكره لطبيعته ، ولا متكلف ما ليس في وسعه؛ فإنَّ التكلف إذا ظهر في الكلام هجَّنه وقبَّح موقعه» (١٢٣)

ولعلَّ ارتباط الفن الخطابي بالمشافهة والارتجال جعل السهولة والوضوح مطلباً ملحاً يدفع بالخطيب إلى أن يقدم خطبته وقد خلت من كل ما يعوق عن الدلالة والإبانة فـ « رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدُّربة وجناحاها رواية الكلام وحليها الإعراب [الوضوح] وبهاؤها تخير الألفاظ » (١٢٤)

ولمَّا كانت « الألفاظ في الأسماع كالصُّورِ في الأبصار » (١٢٥) حرص الأدباء على جودة اللفظ ونقائه، وكان ذلك مبعث التنافس بينهم ولهذا «تأنق الكاتب في الرسالة والخطيب في الخطبة، والشاعر في القصيدة» (١٢٦) .

وقد أورد القلقشندي صورة لما هو جدير بأن يكون عليه ملتمس النكاح من حيث اختيار أسرى الألفاظ إلى القلوب وأحسن المعاني وقعاً في النفوس ، وأرشد إلى :«أن يودعها من ألفاظ المعاني المنتظمة في هذا الباب أوقعها في النفوس وأعودها بتقريب المرام وأدلَّها على صدق القول... وأن

يذهب بها إلى الاختصار والإيجاز» [١٢٧]

ولما كانت خطب الإملاك شريفة المعاني والأفكار كانت لغتها تبعاً لذلك فجاءت مهذبة منتقاة تبتعد عما يخل بالفصاحة كبشاعة الألفاظ وتنافر الحروف والكلمات.

واتجاه خطب الإملاك نحو التماس الألفاظ المألوفة والواضحة لا يعني السطحية والمباشرة في دلالاتها، بل إننا نجدهم قد أضافوا إلى عنايتهم بالمعاني والأفكار عناية خاصة بألفاظهم تتمثل في اختيار الألفاظ الدقيقة والموحية والإحساس المرهف بجمال اللفظ ونصاعته.

تأمل هذه العناية في اختيار اللفظة المفردة في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً ووشج به الأرحام وألزمه الأنام » [١٢٨]

فكلمة « **وشّج** » تمتاز بالدقة حيث تعني التداخل والتشابك والالتفاف ومنه الواشجة : وهي الرحم المشتبكة المتصلة، وكل شيء يشتبك فهو واشج، وأصله من وشجت العروق والأغصان إذا تداخلت [١٢٩] والمصاهرة وشاج بين المتصاهرين تجعل العلاقة بينهم في غاية التداخل والامتزاج.

وهذه اللفظة المعبرة التي تكشف المعنى وتصوره تدل على دقة اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لألفاظه.

وتأمل قول عامر بن الظرب العدواني : « يا معشر عدوان: أخرجت من بين أظهركم كريمتكم على غير رغبة عنكم » [١٣٠] .

فالتعبير عن المرأة بلفظة « **كريمتكم** » يشعر بالحفاوة بها وإنزالها مكانتها التي تستحقها، وربما جاء اللفظ موحياً بظله الذي يرسمه في الخيال ، ومن ذلك قول المأمون: «الحمد لله الذي تصاغرت الأمور بمشيئته ». [١٣١]

" **وتَصَاغَرَتْ** " الأمور أي صغرت وتحاقرت ذلاً ومهابة أمام عظمة الله تعالى وفي الفعل « تصاغر » إيحاء يدل على التصغير والتحقير والإذلال وما يجري مجرى هذه المعاني التي تتفيأ ظلال هذا اللفظ الموحي والبديع.

ونجد مثل هذه الكلمة الموحية والدقيقة في قول عتبة بن أبي سفيان « هي ألصق بقلبي منك »(١٣٢) ففي التعبير بكلمة "**ألصق**" إيحاء يدل على شدة القرب والتلاحم والتعبير هنا بالالتصاق صادق الدلالة على تصوير شدة التعلق ولا يكون هذا المعنى لو قالْ هي أقرب أو أحب ونحو ذلك.

وأمَّا الفعل "**يعذب**" في قوله:«فأكرمها يعذب على لساني ذكرك» فهو يثير في النفس دلالات وظلالاً تفيض بالعذوبة والحلاوة وأصله من الماء العذب وهو المستساغ الهنيء ، وكأن إكرامها وإسعادها يجعل ذكر الخاطب على لسانه نغماً حلواً وماءً عذباً مستساغاً.

وقد تكتسب الكلمة إيحاءها من خلال حروف العلة التي تملك طاقة صوتية خاصة حيث تؤدي مهمة جليلة في اللغة العربية فهي تعد أساساً لقوة الإسماع (١٣٣)كقول علي رضي الله عنه : « الحمد لله الذي قرب من حامديه ودنا من سائليه ووعد الجنة من يتقيه وقطع بالنار عدد من يعصيه» (١٣٤)

فإشباع المد في " **حامديه** " و " **سائليه** " و " **يتقيه** " و " **يعصيه** " يعطي للفظ قوّة في الإسماع ويمنح الخطيب قوة في النطق ، حتى ليخيل لمن يقرأ نص الخطبة أداء الخطيب وهو يضغط على صوته ويمده؛ ليشد أذهان السامعين ويؤثر فيهم، وهذا من أهم المنبهات المثيرة للمتلقي والمتكلم على السواء .

وتتأثر لغة خطب الإملاك – كثيراً – بالقرآن الكريم ، نلمس ذلك من خلال توشيحها بالآيات وانسجام تراكيبها وأسلوبها مع البيان القرآني؛ ولهذا صور عدة منها: أن يأتي أحدهم إلى معنى الآية مدمجاً في حديثه ، بحيث

يدرك السامع هذا التأثير كما في قول عمر بن عبد العزيز : « وقد زوجناك على كتاب الله : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» [١٣٥] وهذا مستفاد من قوله تعالى : « الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ»[١٣٦]

وكقول خالد القسري : « ذكرتم أمراً حسناً جميلاً وعد الله فيه الغنى والسَّعة»[١٣٧]وهو مستفاد من قوله تعالى :« وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ » [١٣٨]

وقد يصل هذا التأثر إلى حد الاقتباس وأمثلة ذلك ظاهرة في طائفة من خطب الإملاك كما في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم [١٣٩] وكما في خطبة الخليفة المأمون [١٤٠]ولا شك أنَّ الخطبة إذا اشتملت على آي القرآن اتسمت بروعة البيان وجمال الأسلوب ولهذا كان السلف من أهل البيان « يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع آيٌ من القرآن ، فإنَّ ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرِّقة وسلس الموقع » [١٤١]

ب ــ في إطار التراكيب

في إطار التراكيب يستطيع المتأمل أن يلمس أبرز السمات التي ساعدت في صياغة تراكيبهم وإظهارها في صورة جميلة ومؤثرة.

ومن تلك السمات حسن التأليف وانسجام مفرداتها وذلك « أن تأتي الكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً ، لا معيباً مستهجناً»(١٤٢)

وهذا التآخي بين الألفاظ في الجمل يقتضي أن تبتعد عن التوعر والتنافر ؛ لتكون سهلة في النطق وأوقع في القلب، تأمل خطبة أبي طالب « الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل،وجعل لنا بلداً حراما وبيتاً محجوجاً ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إنَّ محمد بن عبد الله ابن أخي مَنْ لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه : براً وفضلاً ، وكرماً وعقلاً ، ومجداً ونبلاً، وإن كان في المال قُلَّ فإنَّما المالُ ظل زائل وعارية مسترجعة وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق فعليَّ » (١٤٣)

فالعبارات في هذه الخطبة كما نلحظ حسنة التأليف متآلفة لا تعقيد في معانيها ولا إبهام في مدلولاتها ، وهي لا تحتمل التأويل والتفسير بمعانٍ مختلفة ، ولا تحتاج إلى جهد وعناء في استيعاب معانيها وفهم مقاصدها.

ولعل مما أسهم في سلامة التراكيب وحسن تأليفها وانسجام بنائها موافقتها لقواعد النحو أو ما اصطلح عبدالقاهر الجرجاني على تسميته بـــ « النَّظْم » وهذا ينطبق على جميع خطبهم، فهي تصلح أمثلة صادقة للجملة العربية ا لخالية من اللحن أو التعقيد أو الحشو والتكرار الذي لحق بالعربية بعد عصر الاحتجاج.

ولعل البيئة التي عاش فيها أولئك الخطباء كان لها الأثر الكبير في سلامة تراكيبهم وحسن تأليفها،وإذا كانت البيئة المكانية : « هي الوعاء الفكري الذي تتربى فيه عقلية الإنسان، وينمو فيه إحساسه وشعوره، فإنَّ هذه البيئة قد ألهمت الخيال العربي بالمعاني الصافية الواضحة التي لا تعقيد فيها ولا التواء والتي تعبر عن حياته تعبيراً صادقاً » (١٤٤)

وتطالعنا سمة الجزالة والفخامة في تراكيبهم ، ولا أعنى بالجزالة أن يكون الكلام وحشياً في غاية الغرابة والوعورة وإنما المقصود أن يكون « جزلاً سهلاً لا ينغلق معناه ولا يستبهم مغزاه» (١٤٥)وأن يكون «متيناً على عذوبته في الفم ولذاذته في السمع »(١٤٦).

ومن أمثلة ذلك قول عامر بن الظَّرب: « من خُطَّ له شيء جاءه ربَّ زارع لنفسه حاصدٌ سواه، ولولا قَسْم الحظوظ على قدر الجدود ، ما أدرك الآخر من الأول شيئاً يعيش به، ولكن الذي أرسل الحيا أنبت المرعى ، ثم قسَّمَه أُكُلاً ، لكل فمٍ بقلة ومن الماء جرعة »(١٤٧)

فعبارات الخطيب في هذا النص جاءت جزلة قوية مناسبة للمعاني التي قصدها ، فهي مليئة بأساليب التوكيد والتقرير للمعنى في نفس المتلقي، فضرب الأمثال ، وتوالي الجمل المعطوفة ذات المعاني المتقاربة ، والأسلوب الإقناعي من خلال ضرب المثل بصورة إنزال المطر وإنبات الزرع وقسمته بين المخلوقات بقدر ، كل هذه الأساليب الجزلة جاءت لإقناع قومه بصحة تزويج ابنته لرجل من خارج القبيلة.

ونرى مثل هذه التراكيب الجزلة في خطبة رجل من بني تميم يجيب الفضل الرُّقاشي عندما خطب امرأة منهم فيقول: « توسَّلت بحرمه ، وأدليت بحق ، واستندت إلى خير ، ودعوت إلى سنَّة ، ففرضك مقبول ، وما سألت

مبذول »[١٤٨]

وليست هذه الجزالة هي السمة الوحيدة التي طبعت أساليبهم ، بل إننا نجدهم يراوحون في تراكيبهم بين الجزالة والسهولة التي تظهر من خلال رشاقة العبارة وحسن ديباجتها التي تشف عن مرادها في يسر وسهولة .

تأمل قول عمر بن عبد العزيز « الحمد لله ذي العزة والكبرياء وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء أما بعد، فقد حسن ظن من أودعك حرمته واختارك ولم يختر عليك »[١٤٩] فالسهولة والألفة هما أول منا يطالعنا من سمات هذا الأسلوب لأنها صدرت من ذات نفسه ولم يعقه في أدائها التكلف أوالإغراق في المحسنات البديعية.

وأما من حيث طول الجمل وقصرها ، فقد تراوحت جملهم بين الطول والقصر ولكنَّ المتأمل يلمس غلبة الجمل القصيرة ، حيث يعمد إليها الخطيب لقوَّة تأثيرها في النفس وجريانها على الألسن ، نلحظ هذه الجمل القصيرة في خطبة عامر بن الظرب[١٥٠] وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري[١٥١].

ولعلَّ غلبة الجمل القصيرة يمكن تعليله بطبيعة العلاقة الوثيقة بين طبيعة الأدب ومضمونه ، فالأدب الشفهي غالباً ما تتسم تراكيبه بالقصر ، وذلك رغبةً في التأثير وشدِّ أذهان المتلقين ، إضافة إلى أن طول الجمل وكثرة الاستطراد والتشعب يفضي إلى التشتت وضعف التركيز ، وعدم الفهم مع تعذر التنقيح في مثل هذا الفن الشفهي .[١٥٢]

ثانياً : الإيقاع الصوتي

الحديث عن الإيقاع في النثر الفني ينصرف إلى القيم الإيقاعية داخل النص، وهو إيقاع خفي نلمس مظاهره في انتقاء الكلمات، والمواءمة بين المفردات،وجرس الحروف،وقصر العبارات،والتكرار والمراوحة بين الأساليب، واستخدام المحسنات البديعية.

وهذا الأمر يسهم في تكوين وحدة النص الموسيقية ويجعل الإيقاع الداخلي للألفاظ والجو الموسيقي الذي يحدثه النطق من أهم وسائل الإثارة والتنبيه التي يعمد إليها الخطيب.

وللخطب نغمٌ داخلي مطرب تهتز له النفس وتطرب له الأذن ويكون أعلق بالقلب وقد أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني بقوله : « والخطب من شأنها أن يعتمد فيها الأوزان والأسجاع فإنَّها تروى وتتناقل تناقل الأشعار »(١٥٣)

والمتأمل في خطب الإملاك يلمس غلبة الأسلوب المرسل بحيث لم يتقيد الخطيب بالسجع والازدواج ولم يتكلف المحسنات البديعية وكل ما جاء من ذلك فهو عفو الخاطر حين يتطلبه المعنى.

ومن أبرز وسائل النغم الإيقاعي في خطبهم والذي جاء عفو الخاطر السجع وهو: « تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد». (١٥٤)

ومن أمثلته قول عمر بن عبدالعزيز « الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء» (١٥٥)

وقول الحسن البصري: « إن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة والأنساب المتفرقة» (١٥٦) وقول المأمون : « إن الله جعل النكاح ديناً ، ورضيه حكماً، وأنزله وحياً»(١٥٧) .

فالألفاظ : « **الكبرياء ــ الأنبياء** » و «**المنقطعة – المتفرقة**» و « **ديناً – حكماً – وحياً** » أسهمت في زيادة التناسق الصوتي والتوافق النغمي من غير تكلف وجعلت للأسلوب نغمة موسيقية لها أثرها في استمالة المخاطبين للإصغاء.

ويعد الجناس من آكد الفنون البديعية التي تبنى عليها الموسيقى الداخلية للنص الخطابي،ومما جاء في خطبهم عفو الخاطر قول عامر بن الظَّرب لقومه:

« لن يرى ما أصف لكم إلا كلُّ ذي قلبٍ واعٍ ولكل شيءٍ راعٍ ، ولكل رزقٍ ساعٍ » [١٥٨] فالألفاظ « **واعٍ- راعٍ – ساعٍ**»، أسهمت في جمال الأسلوب من خلال إحداث الانسجام الصوتي الناشئ عن المماثلة في الصوت والوزن إضافة إلى الانسجام بين المعاني وما يحدثه من ربط الكلام وتلاحمه ، كما نلحظ في هذا النص باعثاً آخر على الموسيقى وهو التنوين فقد أعطى النصَّ إيقاعاً مطرباً يدركه الوجدان وتطرب له الأذن.

ومثل ذلك الانسجام نلحظه في قول عتبة بن أبي سفيان : « أقرب قريبٍ خَطَبَ أحبَّ حبيبٍ ، لا أستطيع له ردَّاً ولا أجد من إسعافه بدًّا ، قد زوجتكها وأنت أعزُّ عليَّ منها وهي ألصق بقلبي منك ، فأكرمها يعذب على لساني ذكرك، ولا تهنها فيصغر عندي قدرك ، وقد قربتك مع قربك فلا تبعد قلبي من قلبك»[١٥٩]

فتأمل الجناس بين : « **قريب وحبيب** » و « **ردًّا وبدًّا**» و «**ذكرك وقدرك**» و « **قربك وقلبك**».

وانظر إلى جمال جناس الاشتقاق وهو: ما اجتمع فيه اللفظان في أصل الاشتقاق [١٦٠] في قوله "**أقرب قريب**" و " **أحب حبيب** " و " **قربتك مع**

قربك" و " **قلبي من قلبك**" حيث نلحظ ما بين طرفيه من المماثلة الصوتية التي أحدثت وقعاً موسيقياً جعلت للأسلوب وقعاً مميزاً في السمع.

وتأمل الجرس الموسيقي الناشئ عن التكرار في :

- تفشي حرف الباء في " **أقرب – قريب – أحب – حبيب** " .
- تفشي حرف الكاف في " **ذكرك – قدرك – قربتك – قربك – قلبك**" .

ولاشك أن الحرف إذا تكرَّر « في الكلام على أبعاد متقاربة أكسب تكرار صوته ذلك الكلام إيقاعاً مبهجاً ، يدركه الوجدان السلْيم ، حتى عن طريق العين ، فضلاً على إدراكه السمعي بالأذن»(١٦١)

ولا يفوت المتأمل في هذا النص أن يدرك تلاؤم الكلمات وإيقاعها وحلاوة جرسها في المقابلة بين " **أنت وهي** " و " **أكرمها – لا تهنها** " و " **يعذب ويصغر**".

وكلها ترانيم نغمية يعزف بها الخطيب أوتار قيثارته ليشيع بها نغماً موحياً وصوتاً موسيقياً يؤدي دوراً في إحداث الانسجام والتناسب في الكلام وتحسين وقعه في النفس.

وإذا كان إسهام السجع والجناس في إحداث الإيقاع والتنغيم ينصب على الحروف والكلمات فإنَّ الازدواج يتعلق بتوازن الجمل وتقاربها وهو أن تأتي «جملتان أو أكثر متتابعتان موزونتان منتهيتان بفاصلتين مسجوعتين أو غير مسجوعتين» . (١٦٢)

وأمثلته في خطبهم كثيرة كقول الأعرابي من بني تميم : « توسلت بحرمة وأوليت بحق ، واستندت إلى خير ، ودعوت إلى سنة ، ففرضك مقبول وما سألت مبذول »(١٦٣)

وقول عمر بن عبد العزيز : « جزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً ، فقد أجزلت العطية وكفيت المسألة » (١٦٤)

وقول أيوب بن القُرَّية : « أتيتكم من عند من تعلمون ، والأمير معطيكم ما تسألون ، أفتنكحون أم تردُّون » (١٦٥)

فالأجزاء في هذه الجمل متوازية مع اتفاق الفواصل في بعضها على حرف معين أو على أحرف متقاربة ، ووجه الجمال والروعة في هذا الأسلوب أنه يضفي على النص قدراً من النغم الموسيقى الذي يقوم على تماثل الوحدات الصوتية. وقد جاء في خطبهم مساهماً في إبراز المعاني في حلة جميلة مؤثرة.

وللتكرار قيمة صوتية عالية ونغمة موسيقية تسهم في زيادة النغم وتقوية الجرس الموسيقي ومن أمثلة التكرار قول بلال رضي الله عنه : « أنا بلال وهذا أخي ، كنا ضالين فهدانا الله ، عبدين فأعتقنا الله ، فقيرين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله ، وإن تردّونا فالمستعان الله » (١٦٦)

ومثل هذا التكرار نلمسه في قول المأمون: « المحمود الله ، والمصطفى رسول الله ، وخير ما عمل به كتاب الله » (١٦٧)

فتكرار لفظ الجلالة " الله " في النص الأول " خمس مرات " وفي النص الثاني " ثلاث مرات " أسهمت في زيادة النغم وتقوية الجرس وإشاعة جوٍّ من التناغم الذي يطرب الأذن ، إضافة إلى ما يشيعه سماع هذا اللفظ المقدس البديع من طمأنينة القلب وسكون الروح وهدوء المشاعر.

ولا شك أنَّ هذا الإيقاع الموسيقي في خطب الإملاك جعل لكلامهم رونقاً وجمالاً بسبب الانسجام الموسيقي الذي تبدو مظاهره في جرس الحروف والكلمات والمواءمة بين الألفاظ واستخدام المحسنات البديعية ،

وما شابه ذلك مما يثري الإيقاع الداخلي للنص الخطابي .

ولعل من المؤكد أن نقرر أنهم لم يلتزموا المحسنات البديعية في خطبهم وإنما كانت تأتي هذه المحسنات في بعضها عفو الخاطر من غير تكلف وأما الأعم الأغلب من كلامهم فكان يصدر عن طبع وترسل دون قصد لتزيين الأسلوب بضروب الصنعة البديعية . وهذا يؤكد أنهم لم يتكلفوا البديع وإنما كان مجيئه تابعاً للمعنى موافقاً للطبع والسجية.

ثالثاً: التصوير الفني

يُعد التصوير عنصراً رئيساً من عناصر التعبير الفني، ووسيلة من وسائل إثارة المشاعر،والعواطف المختلفة؛ مما يجعل الصورة أكثر ثباتاً ورسوخاً في الوجدان ، وبدونها يفقد النص الأدبي قيمته الفنية والتأثيرية ويتشابه مع الكلام العادي.

وإذا كان التصوير يعد ضرورة في العمل الأدبي فإن ضرورته « تتعاظم في الخطابة لأنها تعنى بالتأثير ،والمرء يتأثر بما يشخص أمامه ويراه... لهذا درجت الخطابة وبخاصّةٍ في العصور البدائية على تمثيل العواطف تمثيلاً حسّياً مادياً عبر الخيال»(١٦٨).

والمتأمل في خطب الإملاك يجد أنها ــ في غالبها ــ من أكثر الأساليب النثرية ترسلاً وبعداً عن التكلف ،وهذا يعني أنها ليست ذات طابع خيالي موغل في التصوير وذلك يعود لغلبة النزعة العقلية على الأسلوب الخطابي،الذي يعد الاهتمام بالمعنى والفكرة في المقام الأول ، ورغم هذه السمّة العامة نجد أن خطب الإملاك قد حفلت بعدد من الصور التي أضفت عليها طابع الإقناع والإمتاع معاً.

ويدرك المتأمل أن التصوير فيها جاء معتمداً على الصور البيانية وأتى عفو الخاطر؛ لتوضيح المعنى وإبرازه محسوساً،كما نلمس أنَّها جاءت مألوفة قريبة إلى النفوس ، ليس فيها جزء غريب أو متكلف.

تأمل خطبة النبي ﷺ:« إن الله جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً وشَّج به الأرحام»(١٦٩).

تجد أنّ التعبير بـ " **وشَّج** " على سبيل الاستعارة التبعية في الفعل ، إذْ أصل الفعل يستعمل فيما يصح فيه التشابك والتداخل كالأغصان ونحوها ،

والأرحام لا يتأتى فيها التشابك والتداخل، وإنَّما يتأتَّى فيها التقارب والتآلف والتواصل ، وعلى هذا فيكون معنى « وشَّج به الأرحام» أي ألف بينها وقرَّب.

والسرُّ في اختيار " **وشَّج**" دون غيرها مثل قرَّب أو ألَّف مثلاً للدلالة على شدة القرب حتى وصل إلى درجة من التشابك والتداخل لا يمكن فصلها وإبعاد بعضها عن بعض.

وفي قول عامر بن الظَّرب « يا صعصعة ، إنك جئت تشتري مني كبدي»(١٧٠) نلمس تصويراً فنياً يعني بإبراز المشاعر النفسية فأصل المعنى : جئت تطلب مني ابنتي، ولكن عبَّر بـ " **تشتري** " بدل تطلب على سبيل الاستعارة التبعية ؛ لما في الشراء من شدة الرغبة في طلب الشيء وشدة الرغبة في الحصول عليه حتى لو بذل فيه أغلى الأثمان ، وكل هذا لا يوجد في مجرد الطلب.

كما أنَّه عبَّر بـ " **كبدي** " بدل ابنتي على سبيل الاستعارة الأصلية ، وهذا فيه دلالة على شدة اتصالها به من جهة أنَّ الكبد جزء من صاحبه لا ينفك عنه ولا يفارقه... ومن جهة أخرى فيه دلالة على عدم الاستغناء عنه، وأنَّه لا يحيا بدونه.

وفي قول عامر بن الظَّرب في الخطبة ذاتها « ربَّ زارع لنفسه حاصدٌ سواه» تمثيل يُضرب لمن أعدَّ شيئاً وجمَّله وأكمله ثم صار لغيره ، وهو هنا شبَّه تربيته لابنته ورعايته لها ثم مجيء غيره ليأخذها حليلة له ، شبه هذه الحالة بالذي يزرع ويتعاهد زرعه ثم يأتي غيره فيحصده على سبيل الاستعارة التمثيلية.

وهذه الاستعارة التمثيلية أساسها تشبيه حالة بحالة وهيئة بهيئة ، ومن هنا كانت من أكثر الصور الاستعارية ترسيخاً للمعنى وتمثيلاً للخيال،

« لأنها تجسد المعاني المعقولة ، وتخرجها في صورة حسية تزخر بالحركة والألوان والحياة»[١٧١]

والتعبير عن الذرية بالزرع يتلاقى مع قول أبي طالب « الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم»[١٧٢] حيث عبَّر عن السلالة بالزرع على سبيل الاستعارة الأصلية.

وفي قول أبي طالب في الخطبة السابقة « فإنَّ المال ظلّ زائل وعارية مسترجعة» نلمس تشبيهاً بديعاً زاد المعنى وضوحاً وعمقاً، حيث شبَّه "**المال بالظل والعارية**" ووجه الشبه بينهما واضح في الانتقال والزوال وعدم البقاء ، وقد وصف " المشبَّه به " في كل موضع بما يحقق الغرض من التشبيه ، فوصف الظل بأنه زائل أي ذاهب غير باقٍ ، ووصف العارية بأنَّها مسترجعة لا تبقى دائماً عند المستعير وإنَّما لابدَّ من رجوعها لصاحبها.

ومما ورد من الصور النفسية التي تعنى بتصوير المشاعر النفسية قول عتبة بن أبي سفيان:« وقد قربتك مع قربك ، فلا تبعد قلبي عن قلبك»[١٧٣]

فيحتمل أن يكون المقصود من قلبي " ابنتي" ، أي فلا تبعد ابنتي عن قلبك ،فيكون الكلام على سبيل الاستعارة الأصلية ، وسرُّ التعبير بالقلب للدلالة على شدة القرب والاتصال وعدم الاستغناء عنها.

ومن المحتمل أن يكون المراد من " قلبي " نفس المتحدث ، ويكون معنى الكلام لا تبعدني عنك ، وهذا يرجحه قوله قبل ذلك « وقد قربتك مع قربك» فكما أني قربتك مع أنك قريب مني، فكذا أنت لا تبعدني عن قلبك. وهذا فيه إيحاء بشدة القرب والاتصال.

والكلام على هذا الوجه يكون من قبيل المجاز المرسل لعلاقة الجزئية حيث عبَّر بالجزء " قلبي " وأراد الكل ، وسرُّ التعبير بالجزء هنا لأنَّ له مزيد اختصاص بالمعنى المراد، وهو القرب والمحبة ، إذ القلب هو موضع الحب والكره في الإنسان.

ومثل هذا التصوير النفسي للمشاعر والعواطف نلمسه في خطبة قريش في الجاهلية إذ كانت تقول « باسمك اللهم ذُكِرَتْ فلانة وفلان بها مَشْغُوف»(١٧٤).

فكلمة مشغوف مأخوذة من " شُغِفَ" بالبناء للمجهول ، أي وصل حبه لها إلى شغاف قلبه، وهذا فيه دلالة على أنَّ حبَّها أحاط بقلبه مثل إحاطة الشِّغاف بالقلب، وكونه مشغوفاً بها أي إنَّ اشتغاله بحبها صار حجاباً بينه وبين كل ما سوى هذه المحبة ، فلا يخطر بباله سواها.

وعلى رغم غلبة أسلوب الترسل على خطبهم ، نستطيع أن نؤكد أنَّ العفوية والارتجال اللذين غلبا على خطبهم لم يقللا من قيمة التصوير الفني ولم يؤديا إلى تضاؤل المجاز أو اختفاء ملكة الخيال، بل على العكس من ذلك فقد لمسنا جمال التشبيه وحسن الاستعارة مما أعطى معانيهم قيمة فنية وزادها قبولاً وتأثيراً.

رابعاً: الوحدة الموضوعية

سبق الإشارة إلى أنَّ من سنن خطب الإمـــلاك أن يطيـــل الخاطـــب ويقصِّر المجيب[١٧٥] وهذا هو الطابع العام لخطب الإملاك.

فالإطناب والإيجاز يحتاج إليهما بحسب عنصر المقام والحال، ولكل واحدٍ منهما محله الذي يناسبه ، فلا يستعمل الإطناب في موضع الإيجـــاز فيتجاوز مقدار الحاجة إلى الحشو والتطويل ، ولا يستعمل الإيجـــاز فـــي موضع الإطالة فيقصر عن بلوغ غرضه ومقصده.

وفي كلا الحالين نجد خطبهم تمتاز بالوحدة الموضوعية حين تتركز في موضوع واحد يدور الحديث حوله وتتجمع الأفكار والمعاني لدعم هـــذا الموضوع وتأييده بالحجج والبراهين التي من شأنها أن تقنـــع المخـــاطبين وتؤثر فيهم.

نجد أمثلة ذلك واضحة في خطبة أبي طالب[١٧٦] وفي خطبة عـــامر بن الظَّرب[١٧٧]وخطبة بـــلال رضـــي الله عنـــه[١٧٨] وخطبـــة الحســـن البصري[١٧٩] وخطبة عمر بن عبدالعزيز[١٨٠] .

والمتأمل في هذه الخطب يجد الخطبة الواحدة تستقى أفكارها مـــن موضوع واحد لا تستطرد عنه ولا تتفرع منه موضوعات جانبية أخـــرى مما جعلها تتسم بتلاحم البناء ووحدة المشاعر حتى غدت عمـــلاً متناســـقاً وبناءً ملتحماً .

وهذه الوحدة الموضوعية « تجعل الفكرة واضحة تمـــام الوضـــوح للسامعين فلا تشتت أفكارهم بل يستطيعون متابعة الخطيب في رفق وهواده كما تتيح للخطيب أن يحيط بالموضوع من جميع أطرافه ويجليه مـــن كـــل جانب»[١٨١]

وتتجلى وحدة الموضوع ووحدة المشاعر والموقف بوضـــوح فـــي الخطب القصيرة التي تبدو أشدَّ تماسكاً وأكثر استقصاءً من الخطب الطويلة.

تأمل قول شبيب بن شيبة:

« الحمد لله وصلى الله على رسول الله ، أما بعد : فإنَّ المعرفة منا ومنكم بنا وبكم تمنعنا من الإكثار وإن فلاناً ذكر فلانة » (١٨٢)

فهذه الخطبة على قصرها تعبر عن فكرة واحدة مكثفة التركيز تمتاز بالعمق والوضوح، مما يدل على تحقق الوحدة الموضوعية في خطبهم.

الخـــاتمـــة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه :

وبعد هذه الجولة التي أبانت غنى هذا الموضوع وثراءه نقف في نهاية هذا البحث لنرصد أهم النتائج التالية:

- من خلال دراستي لخطب الإملاك تبين أنّ هذه الخطب تعد من فنون النثر الفني الذي يصف العلاقات الاجتماعية القائمة بين الناس ويسهم في تحقيق التكافل بين أفراد المجتمع ويقوي أواصر الروابط بين أفراده.

- ارتباط الفن الخطابي بالارتجال والمشافهة جعل الوضوح سمة مشتركة بين خطباء الإملاك. فجاءت معانيهم واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض.

- أبان البحث أن جدّة المعاني وعمقها من السمات التي أضفت على موضوعات خطب الإملاك تأثيراً واضحاً.

- من حيث اللغة أبانت الدراسة أنّ لغة خطباء الإملاك كانت صحيحة وفصيحة ووعاءً من أوعية اللغة يفزع إليها عند الاستشهاد.

وفي نهاية هذه الخاتمة أشير إلى توصيتين:

- توجيه أنظار الباحثين إلى أهمية القضايا الأدبية والنقدية في الكتب التراثية القديمة وخاصة الموسوعات ففيها درر مخبوءة لم تنل حظها من الدراسة والتحليل.

- توجيه أنظار النقاد ودارسي الأدب إلى أهمية دراسة فنون النثر الأدبي دراسة تفصيلية تحليلية واستخراج ما في بطون المصادر القديمة من أنواعه المختلفة فهي جديرة بالجمع والدراسة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين.

الهـــوامـــش

١) البيان والتبيين ، ١/١٣٤.
٢) المصدر السابق، ١/١٣٤.
٣) تاريخ الأدبي العربي " العصر الجاهلي " – شوقي ضيف ، ص ٣٩٨.
٤) ينظر: لسان العرب – ابن منظور، ١/٣٦٠. مادة (خطب) .
٥) سورة طه ، الآية : ٩٥.
٦) ينظر تهذيب اللغة – الأزهري ، ٧/٧٤٢. مادة (خطب) .
٧) لسان العرب، ١/٣٦١، مادة (خطب) .
٨) البرهان في وجوه البيان – ابن وهب الكاتب ، ١٥١، ١٥٢.
٩) ينظر:الصحاح – الجوهري، ٤/١٦١٠، وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر– ابن الأثير،٤/٣٥٩.
١٠)ينظر: لسان العرب، ١٠/٤٩٤.
١١)المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ــ أبوموسى المدني، ٣/٢٢٨والنهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/٣٥٩.
١٢)ينظر : الخطابة وإعداد الخطيب – عبد الجليل شلبي، ١٣٤، والخطابة في عصرها الذهبي – إحسان النص، ٢٢٦.
١٣)تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) شوقي ضيف ، ص٤١٨.
١٤)خطبة الإملاك " النكاح " من السنن التي حث عليها النبي ﷺ كما في حديث ابن مسعود ﷺ مرفوعاً:« إذا أراد أحدكم أن يخطب لحاجة من نكاح أو غيره فليقل : إن الحمد لله نحمده ونستعينه ....»الحديث . وتسمى هذه الخطبة خطبة الحاجة عند جميع الفقهاء . والحديث أخرجه أبو داود في كتاب النكاح ٢/٢٣٨ حديث رقم (٢١١٨) . وذهبت الظاهرية وبعض والشافعية إلى أنها واجبة والصحيح أنها سنة وهو رأي الجمهور . ينظر : سبل السلام شرح بلوغ المرام ــ الصنعاني ، ٢/٢٤٠.
١٥)يستحب إعلان النكاح؛ لحديث عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه – رضي الله عنهم– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال: " أعلنوا النكاح " رواه الترمذي في كتاب النكاح، باب ما جاء في إعلان النكاح، ٣/٣٩٨، رقم (١٠٨٩)
١٦)بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب– الألوسي، ٢/٣.
١٧)ينظر : تاج العروس– الزبيدي ، ١/٢٣٧، مادة (خطب) ، ولسان العرب، ١/٣٦٠،

مادة(خطب).

١٨)ذُكِرَتْ : على البناء للمجهول، والأصل أن يقال : ذكر فلانٌ فلانة ذكراً . أي خطبها أو تعرض لخطبتها.

١٩) البيان والتبيين ، ٤٠٨/١.

٢٠) المصدر السابق، ٤٠٨/١.

٢١)ينظر : البيان والتبيين ، ٣٨٤/١ ، و شرح ديوان الحماسة ــ المرزوقي ، ١٦/١

٢٢) البيان والتبيين ، ١١٦/١.

٢٣)ينظر ص١٤ ، من البحث

٢٤) البيان والتبيين ، ١١٨/١

٢٥) المصدر السابق، ١١٨/١.

٢٦)شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ، ٢٦١/١٥.

٢٧) البيان والتبيين ، ١١٦/١.

٢٨) عيون الأخبار – ابن قتيبة، ٣٦١/٣.

٢٩) إذا كان الرجل يخطب لنفسه فيقال له خطب المرأة إلى وليها، وإن كان يخطبها لغيره فيقال خطب على فلان. قال ابن حجر رحمه الله تعليقاً على حديث « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأبي وجدي وخطب عليَّ فأنكحني . أي طلب لي النكاح فأجيب. قال : خطب المرأة إلى وليها إذا أرادها الخاطب لنفسه، وعلى فلان إذا أرادها لغيره » ، ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٤/٤.

٣٠) العقد الفريد ، ١٤١/٤.

٣١) عيون الأخبار ، ٣٦١/٣.

٣٢) البيان والتبيين ، ٤٠٤/١، وينظر : عيون الأخبار ، ٣٦٠/٤.

٣٣)زهر الآداب وثمر الألباب- الحصري ، ٤٧٨/٢.

٣٤) البيان والتبيين ، ٧٣/٤.

٣٥) المصدر السابق، ٧٣/٤.

٣٦)ينظر : البيان والتبيين ٢٥٠/٢، والعقد الفريد ، ١٣٩/٤.

٣٧) السَّرَق: بالتحريك يعني السرقة.

٣٨) الذَّفَرى: العظم الشاخص خلف الأذن من جميع النَّاس والدواب وهذا الموضع هو أول ما يعرق من البعير ، وهما ذفريان من كل شيء ، وقيل الذفر: العظيم الخلق وعليه

فالمقصود بدن الخطيب والشاعر هنا يعيب الخطباء الذين تأخـذهم الرهبـة فيسـيل العرق من أجسامهم.ينظر : البيان والتبيين ، ١٣٤/١، ولسان العرب، ٣٠٦/٤ مادة (ذفر) .

٣٩) البيان والتبيين ، ١٣٣/١.

٤٠) المصدر السابق ، ١٣٤/١.

٤١) تصعده الأمر تصعداً : أصله من الصَّعُود وهي العقبة الشاقة . يقال : تصعده الأمر إذا شَقَّ عليه وصعب ، ينظر : لسان العرب، ٢٥٢/٣ مادة (صعد) .

٤٢) البيان والتبيين ، ١١٧/١.

٤٣) الحِدَق والحِداق : الأعين ، والمراد قرب عيون الخطيب من أعين الناظرين إليه.

٤٤) البيان والتبيين ، ١١٧/١

٤٥) المصدر السابق، ١١٧/١.

٤٦) المصدر السابق، ١١٧/١.

٤٧) عبقرية عمر –العقاد ، ٥٨٠/١-٥٨١.

٤٨) الصعداء: بالضم والمد هو التنفس بتوجع ومشقة ينظر: لسان العرب،٢٥٣/٣،مادة (صعد) .

٤٩) ينظر: الخطب والمواعظ ــ محمد عبدالغني حسن ، ١٥٣.

٥٠) النقد الأدبي ــ أحمد أمين ، ٤٣.

٥١) الأسلوب ـ أحمد الشايب ، ٦٣ .

٥٢) المصدر السابق ، ٦٣

٥٣) سورة الفرقان، آية:٥٤.

٥٤) تلخيص المتشابه في الرسم ــ الخطيب البغدادي، ٣٦٣/١، وتاريخ دمشق ــ ابن عساكر،٤٤٤/٥٢.

٥٥) ينظر لسان العرب ، ٤٧١/٤، مادة " صهر"

٥٦) ينظر : التحرير والتنوير ــ الطاهر بن عاشور ،٥٥/١٩، وإطلاق الصهر على من له من الآخر علاقة المصاهرة من إطلاق المصدر في موضع الوصف والأكثر حينئذٍ أن يخص بقريب زوج الرجل ، وأما قريب زوج المرأة فهو ختن لها أو حـمٌ. وقـد حكى ابن فارس عن الخليل أنه قال : لا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان ولأهل بيت المرأة إلا أصهار ومن العرب من يجعلهم جميعاً أصـهاراً ، ينظـر: الصـحاح ــ

الجوهري،٣٩٨/١ ،ولسان العرب ، ٤٧٠/٤، مادة " صهر".

٥٧)البيان والتبيين ، ١٠٠/٢ ، والعقد الفريد ، ١٤١/٤.

٥٨)ينظر : بلوغ الأرب ــ الألوسي ، ٢/ ٧،٦ ، والمرأة في الشعر الجاهلي ــ أحمد الحوفي،١٢٧.

٥٩)عيون الأخبار ــ ابن قتيبة ، ٣٦٢/٣.

٦٠)عيون الأخبار ، ٣٦٠/٤.

٦١)سورة النور ، آية:٣٢.

٦٢)تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ، ٤٥٩/٣.

٦٣)صبح الأعشى في صناعة الإنشا ــ القلقشندي، ٢١٣/١، وإعجاز القرآن ــ الباقلاني ، ١٥٧.

٦٤)صبح الأعشى ، ٢١٣/١.

٦٥)مجمع الأمثال، ٢١١/١،والعقد الفريد، ٩٢/٦.

٦٦)محاضرات الأدباء ــ الراغب الأصفهاني،٤٠٩/١

٦٧)عيون الأخبار،٣٦٣/٣

٦٨) البيان والتبيين ، ٤٠٨/١

٦٩) صبح الأعشى ،٢١٣/١.

٧٠) المصدر السابق،٢١٣/١.

٧١) ينظر: ص١٣ من البحث

٧٢) صبح الأعشى ، ١٦٠/٩.

٧٣) عيون الأخبار، ٣٦١/٣.

٧٤) صبح الأعشى ، ٢١٣/١.

٧٥) مجمع الأمثال،٢١١/١،والعقد الفريد ، ٩٢/٦.

٧٦) مجمع الأمثال، ٢١١/١،والعقد الفريد،٩٢/٦

٧٧) العقد الفريد ، ١٣٦/٤.

٧٨) العقد الفريد ، ١٣٦/٤.

٧٩) ينظر: المثل السائر ، ٩٦/١، وتحرير التحبير ــ ابن أبي الأصبع،٦١٦.

٨٠) الصناعتين ، ١٧٩

٨١) ينظر : الخطابة ــ أرسطو طاليس ، ٨٤.

٨٢) ينظر : المثل السائر ــ ابن الأثير ، ٢٢٣/٢.

٨٣) ينظر: البيان والتبيين، ٤٠٨/١.

٨٤) صبح الأعشى ،٢١٣/١ ، وإعجاز القرآن،١٥٧

٨٥) تلخيص المتشابه في الرسم ــ الخطيب البغدادي ، ٣٦٣/١، وتاريخ دمشق ــ ابن عساكر،٤٤٤/٥٢.

٨٦) البيان والتبيين ، ١٠٤/٢.

٨٧) الصناعتين ،٤٣٧.

٨٨) ينظر العقد الفريد ، ١٤١/٤.

٨٩) ينظر عيون الأخبار، ٣٦١/٣.

٩٠) زهر الآداب وثمر الألباب ، ٤٧٨/٢.

٩١) عيون الأخبار،٣٦١/٣.

٩٢) صيد الخاطر ــ ابن الجوزي،١٠٠.

٩٣) مجمع الأمثال،٢١١/١ ، والعقد الفريد ، ٩٢/٦.

٩٤) علم المعاني ــ عبدالعزيز عتيق،١٣٣.

٩٥) **أما بعد**: معناها "مهما يكن من شيء بعد". ويؤتى بها عندما يكون الرجل في حديث ثم يريد أن يأتي بغيره ، وهو ظرف مبني على الضم ، لأنه مقطوع عن الإضافة . ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ــ ابن هشام الأنصاري ، ٢١١/٤. وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى استحباب قول الخطيب بعد الثناء "**أمَّا بعد**" وذلك تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد عقد البخاري رحمه الله باباً في استحباب ذلك ينظر: صحيح البخاري باب من قال في الخطبة بعد الثناء " **أما بعد** " ، ٤٦٨/٢.

٩٦) أدب الكتاب ــ الصولي ، ٢٧.

٩٧) العقد الفريد ، ١٤١/٤.

٩٨) عيون الأخبار،٣٦١/٣.

٩٩) صبح الأعشى ، ٢١٣/١،وإعجاز القرآن ، ١٩٧.

١٠٠) تلخيص المتشابه في الرسم ،٣٦٣/١، وتاريخ دمشق ، ٤٤٤/٥٢.

١٠١) ينظر: الأسس النفسية للأساليب البلاغية العربية ــ مجيد ناجي، ١٠٢

١٠٢) تلخيص المتشابه في الرسم ،٣٦٣/١وتاريخ دمشق ،٤٤٤/٥٢.

١٠٣) البيان والتبيين ، ١٠٠/٢، والعقد الفريد ، ١٤١/٤.
١٠٤) زهر الآداب وثمر الألباب ، ٤٧٨/٢.
١٠٥) البيان والتبيين ، ١١٦/١.
١٠٦) ينظر: صبح الأعشى ، ٢١٣/١، وإعجاز القرآن ،١٥٧
١٠٧) ينظر:العقد الفريد ، ١٤٢/٤، وينظر : عيون الأخبار، ٣٥٨/٣.
١٠٨) ينظر:البيان والتبيين ، ١٠٠/٢، والعقد الفريد ، ١٤١/٤.
١٠٩) ينظر:زهر الأداب وثمر الألباب، ٤٧٨/٢.
١١٠) ينظر : الإيضاح ــ القزويني ، ٥٩٨/٢.
١١١) صبح الأعشى، ٢١٣/١، وإعجاز القرآن ، ١٩٧.
١١٢) عيون الأخبار ، ٧٣/٣.
١١٣) البيان والتبيين ، ١٠٠/٢، والعقد الفريد ، ١٤١/٤.
١١٤) عيون الأخبار، ٣٦٣/٣.
١١٥) البيان والتبيين ، ٧٣/٤.
١١٦) عيون الأخبار،٣٦٠/٣
١١٧) ينظر : الديوان، ١٤٧.
١١٨) البيان والتبيين ،٢١٩/١.
١١٩) المصدر السابق، ٢٢٣/١
١٢٠) اقتضاب الكلام : ارتجاله ، واقتضب : تكلم من غير تهيئة أو إعداد .
١٢١) ميَّته : ذلَّله وليَّنه. ينظر : لسان العرب ، ١٩٣/٢
١٢٢) البيان والتبيين ،١٤/٢
١٢٣) البرهان في وجوه البيان ــ ابن وهب الكاتب ، ١٦٢
١٢٤) البيان والتبيين ، ٤٤/١.
١٢٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – ابن رشيق القيرواني ، ١٢٨/١.
١٢٦) الصناعتين ، ٧٢.
١٢٧) صبح الأعشى،١٦٠/٩.
١٢٨) تلخيص المتشابه في الرسم، ٣٦٣/١، وتاريخ دمشق ، ٤٤٤/٥٢.
١٢٩) ينظر : لسان العرب ، ٣٩٨/٢، مادة " وشج".
١٣٠) مجمع الأمثال ، ٢١١/١ ، والعقد الفريد ، ٢٢٣/٣.

١٣١) زهر الآداب وثمر الألباب، ٤٧٨/٢

١٣٢) العقد الفريد ، ٠١٣٦/٤

١٣٣) اللغة العربية ، مبناها ومعناها ــ تمّام حسّان ، ٠١٧

١٣٤) نثر الدر ــ الآبي ، ٥٩/١.

١٣٥) عيون الأخبار، ٠٣٦٣/٣

١٣٦) سورة آل عمران ، آية :٠٢٢٩

١٣٧) عيون الأخبار ، ٠٣٦٠/٤

١٣٨) سورة النور ، آية : ٠٣٢

١٣٩) تلخيص المتشابه في الرسم ، ٣٦٣/١ ، وتاريخ دمشق،٠٤٤٤/٥٢

١٤٠) عيون الأخبار ، ٠٣٦٢/٣

١٤١) البيان والتبيين ، ٠١١٨/١

١٤٢) تحرير التحبير، ٠٤٢٥

١٤٣) صبح الأعشى، ٢١٣/١، وإعجاز القرآن ،٠١٥٧

١٤٤) النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ــ عبدالحكيم بلبع،٠٤٠

١٤٥) الصناعتين، ٠٨١

١٤٦) المثل السائر،١٧٢/١

١٤٧) مجمع الأمثال، ٢١١/١،والعقد الفريد،٠٩٢/٦

١٤٨) البيان والتبيين ، ٠٧٣/٤

١٤٩) عيون الأخبار،٣٦٠/٣

١٥٠) مجمع الأمثال،٢١١/١،والعقد الفريد،٠٩٢/٦

١٥١) البيان والتبيين ،١٠٠/٢، والعقد الفريد ،١٤١/٤

١٥٢) ينظر : الهوامل والشوامل ــ أبوحيّان التوحيدي ، وابن مسكويه، ٢٨٥-٢٨٦

١٥٣) أسرار البلاغة ــ عبدالقاهر الجرجاني، ٠٩

١٥٤) ينظر : الإيضاح ، ٠٥٤٧/٢

١٥٥) عيون الأخبار،٣٦١/٣

١٥٦) البيان والتبيين ، ١٠٠/٢، والعقد الفريد ، ١٤١/٤.

١٥٧) زهر الآداب وثمر الألباب ، ٠٤٧٨/٢

١٥٨) مجمع الأمثال، ٢١١/١ .

١٥٩) العقد الفريد، ١٣٦/٤.

١٦٠) ينظر: الإيضاح،٥٤٢/٢.

١٦١) التكرير بين المثير والتأثير ــ عز الدين عليّ السيد ، ٤٥.

١٦٢) الإيقاع الصوتي في شعر شوقي ــ منير سلطان ، ٣٩١.

١٦٣) البيان والتبيين ، ٧٣/٤.

١٦٤) العقد الفريد ، ١٤٢/٤.

١٦٥) عيون الأخبار،٧٣/٣.

١٦٦) العقد الفريد ، ١٤٢/٤، وينظر: عيون الأخبار،٣٥٨/٣.

١٦٧) عيون الأخبار ، ٣٦٢/٣.

١٦٨) فن الخطابة ــ الحاوي ، ١٠.

١٦٩) تلخيص المتشابه في الرسم ، ٣٦٣/١، وتاريخ دمشق ، ٤٤٤/٥٢

١٧٠) مجمع الأمثال ــ الميداني ، ٢١١/١ ، والعقد الفريد، ٩٢/٦

١٧١) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية ــ عبدالمجيد قطامش ، ٢٣٥.

١٧٢) صبح الأعشى، ٢١٣/١، وإعجاز القرآن ، ١٥٧

١٧٣) العقد الفريد ، ١٣٦/٤

١٧٤) البيان والتبيين ، ٤٠٨/١

١٧٥) ينظر: ص١٠، من البحث

١٧٦) ينظر: صبح الأعشى ، ٢١٣/١ ، وإعجاز القرآن ، ١٥٣.

١٧٧) ينظر : مجمع الأمثال، ٢١١/١ والعقد الفريد،٩٢/٦.

١٧٨) ينظر: العقد الفريد، ١٤٢/٤.

١٧٩) ينظر : البيان والتبيين ، ١٠٠/٢.

١٨٠) ينظر : عيون الأخبار، ٣٦١/٣.

١٨١) أسس النقد الأدبي ــ أحمد بدوي ، ٦٤٠.

١٨٢) العقد الفريد ، ١٤١/٤.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع المطبوعة.

١) ابن أبي الأصبع ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: تحقيق حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي عام ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار إحياء الكتب الكتب العربية ، الطبعة الثانية ،عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

٣) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث :تحقيق محمود الطناحي ، دار إحياء التراث العربي ، ، بيروت ، لبنان.

٤) ابن الجوزي :صيد الخاطر ، مكتبة العلم ،جدة.

٥) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس.

٦) ابن عبدربه ، أحمد بن محمد ، العقد الفريد ،مكتب تحقيق التراث ، دار إحياء التراث العربي،بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، عام ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

٧) ابن عساكر، تاريخ دمشق: تحقيق صلاح الدين المنجد ، المجمع العلمي العربي، دمشق ، عام١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

٨) ابن قتيبة ،عبدالله بن مسلم، عيون الأخبار: تحقيق محمد الإسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة، عام ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م

٩) ابن كثير،أبوالفداء الدمشقي، تفسير القرآن العظيم: ضبط وشرح حسين إبراهيم زهران ، دار الفكر بيوت ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٠) ابن منظور ، جمال الدين :لسان العرب ، دار صادر ،بيروت.

١١) أرسطوطاليس ، الخطابة: ترجمة إبراهيم سلامة ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، عام ١٩٥٣م.

١٢) الأزهري،أبو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة: تحقيق عبدالسلام سرحان ، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

١٣) الألوسي :بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية.

١٤) الباقلاني ،إعجاز القرآن: تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي ،دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م

١٥) البستاني ، كرم :شرح ديوان الفرزدق ، دار بيروت ، عام١٩٨٤م.

١٦) البغدادي ، الخطيب :تلخيص المتشابه في الرسم ، دار طلاس للدراسات والترجمة ،دمشق ، الطبعة الأولى عام ١٩٨٥م

١٧) التوحيدي ، أبوحيان و ابن مسكويه ، الهوامل والشوامل: تحقيق أحمد أمين والسيد صقر ، مطبعة لجنة التاليف . الطبعة الأولى ،عام ٢٠٠٠م

١٨) الجاحظ ،عمرو بن بحر، البيان والتبيين : تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل ، بيروت.

١٩) الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، الصحاح: تحقيق أحمد عبدالغفور عطّار ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ

٢٠) الحاوي ، إيليا: فن الخطابة ، دار الثقافة ، بيروت

٢١) الحوفي ، أحمد : المرأة في الشعر الجاهلي ، دارالفكر العربي، القاهرة ، الطبعة الثانية ، عام ١٩٨٢م.

٢٢) الزركشي ، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن : تحقيق محمد أبوالفضل ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ

٢٣) السيد ، عز الدين علي : التكرير بين المثير والتأثير ، عالم الكتب،

بيروت ، الطبعة الثانية ، عام ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م

٢٤) الشايب ، أحمد :الأسلوب ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، الطبعة الثامنة عام ١٩٩٠م

٢٥) الصنعاني ، سبل السلام : تحقيق فواز زمزلي وإبراهيم الجمل ، شرح بلوغ المرام ـ ، دار الريان للتراث ، القاهرة الطبعة الرابعة ، عام١٤٠٧هـ.

٢٦) الصولي ، أدب الكتّاب : تحقيق أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٧) العسقلاني ، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري :تحقيق محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القاهرة ،الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م

٢٨) العسكري، أبوهلال ،تحقيق مفيد قميحة :الصناعتين، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، عام ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م

٢٩) العقاد :عبقرية عمر ،المجموعة الكاملة ، دار الكتاب اللبناني، عام١٩٨٤م

٣٠) الغزالي ، أبوحامد : إحياء علوم الدين.

٣١) القزويني ، الإيضاح: تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتب اللبناني ، الطبعة الخامسة ، عام ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٣٢) القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا :شرح وتعليق يوسف الطويل : ، دار الفكر ، بيروت.

٣٣) القيرواني ، ابن رشيق :العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .

٣٤) القيرواني ، الحصري ، زهر الآداب وثمر الألباب: تحقيق زكي مبارك ،دار الجيل ، الطبعة الرابعة ، عام ١٩٧٢م

٣٥) الكاتب ، ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان: تحقيق حفني محمد

شرف ، مطبعة الرسالة ، عام١٣٨٩هـ

٣٦) المدني ، أبوموسى : المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ، دار الكتب ، بيروت .

٣٧) المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة : تحقيق أحمد أمين ، وعبدالسلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٨) المسلماني ، مصطفى : الزواج والأسرة ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، عام١٩٨١م.

٣٩) الميداني ، أبوالفضل أحمد بن محمد ، مجمع الأمثال :تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ،بيروت الطبعة الأولى ، عام ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م

٤٠) الناصر ، محمد ، وخوله درويش ، المرأة بين الجاهلية والإسلام ،دار الرسالة ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ،عام١٤١٣هـ.

٤١) النص، إحسان :الخطابة في عصرها الذهبي ، دار المعارف ، مصر ،عام١٣٨٢هـ

٤٢) الهواس ، عبدالحق :البناء الفني للمعلقات ، بغداد ، عام١٩٩٣م

٤٣) الهيثمي : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٤٤) أمين أحمد :النقد الأدبي ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، الطبعة الخامسة عام١٩٨٣م

٤٥) بدوي ، أحمد :أسس النقد الأدبي ، نهضة مصر للطباعة ، القاهرة عام ١٩٩٦م

٤٦) بلبع ، عبدالحكيم :النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ، لجنة البيان ، الإسكندرية،عام١٣٧٣هـ ـ١٩٥٤م

٤٧) حسان ، تمام :اللغة العربية مبناها ومعناها ، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، عام١٤١٨هـ ـ١٩٩٨م.

٤٨) حسن ، محمد عبدالغني :الخطب والمواعظ ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ،مصر.

٤٩) ديوان الفرزدق ، شرح كرم البستاني ، دار بيروت ، عام ١٩٨٤م

٥٠) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر ، بيروت

٥١) سطان ، منير : الإيقاع الصوتي في شعر شوقي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، الطبعة الأولى ، عام ٢٠٠٠م

٥٢) ضيف ، شوقي: تاريخ الأدب العربي ،العصر الجاهلي ، دارالمعارف ، مصر.

٥٣) عبدالقاهر ، الجرجاني: أسرار البلاغة ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة، عام ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م

٥٤) عبده ، عبدالجليل :الخطابة وإعداد الخطيب ، دار القلم ، الطبعة الثانية ، عام ١٤٠٢هـ

٥٥) عتيق ، عبدالعزيز : علم المعاني ، دار النهضة ، بيروت.

٥٦) قطامش ، عبدالمجيد :الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية ،دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى١٤٠٨هـ

٥٧) قطب، سيد : في ظلال القرآن الكريم ، دار الشروق ، الطبعة السابعة عشر، عام١٤١٢هـ ـ١٩٩٢م.

٥٨) مجيد ، ناجي:الأسس النفسية للأساليب البلاغية العربية ، المؤسسة الجامعية للنشر، الطبعة الأولى ،بيروت ، عام ١٩٨٤م.

محتويات الجزء الثالث

م	الموضوع	اسم الباحث	الصفحة
١	أسرة التحرير	ـــــ	١٦٤٣
٢	نظرات فى حياة الخازن وتفسيره المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل	د/ سهام فاروق محمد عمر	١٦٤٥
٣	شعر المنفى في ديوان البارودي دراسة موضوعية فنية	د. فاطمة البيومي محمود سلامة	١٧٤٥
٤	محظورات الإحرام وما يترتب عليها من آثار	د / فاطمة عيسي إبراهيم مصطفي الفقي	١٩٢٣
٥	جماليات الأمثال فى الأدب الإفريقى مصر – تشاد-غينيا	دكتور محمد فوزى مصطفى خليل	٢٠٢٣
٦	[مأساة الحلاج] بين الحدث التاريخى والإسقاط المعاصر	دكتور عمر عبد العزيز الحسينى	٢٢٢٧
٧	قضايا المرأة المغتصبة في ميزان الفقه الإسلامي	د/ أسماء فتحي علي السيد	٢٣٢٩
٨	خطب الإملاك في التراث الأدبي القديم دراسة أدبية تحليلية	إعداد عبدالرحمن بن رجاء الله الجامعي السلمي	٢٤٠٩
٩	محتويات الجزء الثالث		٢٤١٣